صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الرابع



العدد الرابع
من
السنة الثامنة

٣٤ حارة جاد — شارع الفجالة — مصر

ابريل ١٩٣٩

افتتاحيـــــــات

ألمانيا الجديدة

لما رسم الحلفاء تخطيط دولة تشيكوسلوفاكيا قبل عشرين سنة فى باريس كان الدكتور مازاريك رئيس هـذه الدولة الجديدة يحض على الاعتدال ويكف أنصاره من الحلفاء — وخاصة فرنسا — عن الغلو . فكان مما اقترحه الا يكون الالمان فى اقليم السوديت خاضعين لهذه الدولة الناشئة . وكان يرى اما أن ينضموا الى ألمانيا واما أن يستقلوا لانه كان يشعر بان مثل هؤلاء الالمان سيكونون شوكة فى جسم الدولة وانهم لذلك ليسوا كسبا بل خسارة يجب التخلص منها . ولـكن الحقد الذى كانت الحرب الـكبرى قد غرسته فى قلوب اعداء المانيا أعماهم وقت النصر عن التبصر ليس للعواقب البعيدة بل للعواقب القريبة . لان عشرين سنة لاتعد زمنا طويلا فى نظر الساسة المدربين

وقد كان يوم ١٥ مارس الماضى ميعاد الاحتفال بمرور عام على دخول الالمان النمسا وانضمامها الى الدولة الالمانية . ولكن بدلا من أن يدخل هتلر فينا عاصمة النمسا دخل براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا . ولا يدرى أحد أية عاصمة أوربية سيدخلها فى مثل هذا اليوم من العام القادم . أو حتى قبل هذا اليوم

ولنعد بالذاكرة الى حوادث العام الماضى فقبل عام كانت المانيا ٧٠ مليونا . فضمت اليها النمسا . فاصبحت ٧٦٫٥ مليونا . وفى أواخر سبتمبر الماضى ضمت اقليم السوديت وبه ثلاثة ملايين

ونصف مليون من الالمان فصارت ثمانين مليونا . والآن تضم نحو ١٥ مليونا من مجموعة الامم التى كانت تسمى جمهورية تشيكوسلوفاكيا وبذلك يصبح سكانها ٩٥ مليونا . وصحيح ان كلمة « الضم » لا تطابق المصطلحات القانونية لان ما حدث هو اعلان الحماية فقط على كل من سلوفاكيا وتشيكيا ولكن الواقع ان المانيا الآن سيدة فى جميع هذه الاقاليم تستخدم سكانها وتستغل مواردها بمثل ما تفعل فى المانيا نفسها

وسكان بريطانيا هم الآن أقل من ٤٨ مليونا . وسكان فرنسا نحو أربعين مليونا فقط . وهؤلاء لا يصل مجموع سكانهما الى ما يساوى عدد السكان فى ألمانيا الكبرى الجديدة . وهذا بصرف النظر عن ايطاليا . فاذا نشبت حرب بين المانيا وبين بريطانيا وفرنسا مجموعتين لرجحت كفة الالمان فى أوربا . ولكنا بالطبع نهمل هنا عوامل أخرى منها دخول روسيا والولايات المتحدة الامريكية

وقبل نحو عشرين يوما ساد العالم جو من الاطمئنان كان سببه أن بريطانيا أنبأت أنها تقوم بمجهود لا مثيل له فى تهيئة الذخائر والاسلحة . وان أسبانيا قد أوشكت الحرب الاهلية ان تنتهى فيها بانتصار فرانكو . ولكن فى وسط هذا الاطمئنان رأينا الرئيس روزفلت يلغى برنامج رحلته ويعود فى عجلة غير مفهومة الى واشنطون . ثم تفسر عودته بان الحال فى أوربا قد تحرجت وان السفراء الامريكيين ابلغوا الرئيس بان هناك تعبئة حربية فى وسط أوربا تنذر بالشر . وكل هذا يحدث وفرنسا وبريطانيا ساكتتان

ولم لا نقول الآن ان الاستعدادات البريطانية الهائلة هى التى دفعت الزعيم هتلر الى تعجل برنامجه بالتنفيذ ؟ فان المنطق يحدونا الى الظن بان المانيا اذا كانت تنوى الحرب فانها يجب الا تنتظر الاستعداد التام عند خصومها . فهل نحن فى بداية هذه الحرب الآن ؟

ليس هذا بعيدا . بل ربما يكون من مصلحة العالم المتمدن كله ان تبدأ التصفية من الآن . اذ ما دامت الحرب واقعة لا محالة . فمن أخف الضررين أن تقع منذ الآن قبل اتمام المعدات المهلكة حتى تقل الخسارة بانواعها المختلفة . ولعل الصلح القادم يرتكز على مبادىء جديدة تقوم على المحبة الانسانية والتعاون وايجاد الضمانات لمنع المظالم فى المستقبل . بل ليس بعيدا ان يؤدى الصلح القادم الى ايجاد « ولايات أوربية متحدة » أو الى تجديد عصبة الامم بحيث تصبح حكومة عالمية قوية

ولكن هذا هو جانب الامل من الحال القائمة . وهناك جانب اليأس فى الخراب الذى سيعيش طويلا وسوف يخلق الوانا من الطغيان وقد يفتح عصرا جديدا من القرون المظلمة

ومن التماس أن يقول الانسان ان المانيا ستسكت بعد ما أتمت احتلال تشيكوسلوفاكيا والغتها من سجل الوجود . فان فى رومانيا من البترول مالا يمكنها الاستغناء عنه . وفى أوكرانيا من القمح ما يجب أن يكون فى الاخلاق الجديدة ، ملكا للدول القوية

الاعفاء من الضريبة والحجز

يكثر الكلام هذه الايام عن الضرائب وأعبائها الجديدة . ونحن بالطبع مبتدئون فى هذا الميدان ونحتاج الى الاسترشاد بما جرت عليه الامم الاخرى التى سنت مثل هذه الضرائب . ونقتصر هنا على ذكر الاموال ، أو المؤسسات التى تعفى من الضرائب أو يمنع عنها ايقاع الحجز لغاية اجتماعية واقتصادية . ولسنا نعنى بذلك أن نأخذ به حكومتنا فورا وانما نذكرها للاستنارة الان وللاسترشاد فى المستقبل

١ — قد ذكرت الصحف ان الضرائب الجديدة ستفرض على ودائع « صناديق التوفير » فى مصلحة البريد — أى على الارباح التى تضاف اليها . والمعروف ان صندوق التوفير انما انشىء لغاية اجتماعية ، هى — تشجيع الفقراء على الادخار ، ولذلك تنشىء مصلحة البريد دفاتر يمكن التلميذ الصغير فى المدرسة ان يضيف اليها من مصروفه اليومى قرشا أو قرشين لكى يتجمع له آخر العام مبلغ يتعود منه الادخار أو الاقتصاد ، فى المستقبل . وجميع الامم تقريبا تعفى المودعين فى هذه الصناديق من الضرائب وخاصة لان الربح عليها يتراوح بين اثنين ونصف الى ثلاثة فى المائة .

فالربح ضئيل لا يستحق ان تفرض عليه ضريبة ما

٢ — ومما يعفى أيضاً من الضرائب عند جميع الامم أو معظمها ما يؤديه الممول من أقساط التأمين فاذا كان دخله يبلغ الف جنيه وهو يؤدى من أقساط التأمين أو التأمينات المختلفة مائتى جنيه فان دخله الذى تفرض عليه الضرائب هو ٨٠٠ جنيه فقط . وذلك لان للتأمين قيمة اجتماعية كبيرة اذ هو يحض الناس على التبصر للمستقبل والاستعداد للطوارىء من مرض أو موت أو اصابة تقع

بالشخص أو بما يملك . وبعض الحكومات تقوم بالتأمين من التعطل والمرض والشيخوخة ولذلك ينسجم الاعفاء من الضرائب هنا مع خطة الحكومة

ومما يجدر ذكره هنا أيضا أن بعض الحكومات تعفى من الضرائب ما ينفق على البناء . وذلك لكى يجد المولون ما يحرضهم على إنفاق أموالهم فى بناء المساكن التى تستخدم عمالا مختلفين وتزود البلاد بمنازل جديدة

٣ — وكذلك تعفى جمعيات وشركات التعاون سواء أكانت للاستهلاك أم للانتاج . والغاية هنا واضحة وهى تشجيع الجمهور على التعاون والتحلى بفضائله المختلفة ومنع التاجر الوسيط من الوقوف بين المنتج والمستهلك موقف المستربح الذى يفحش أحيانا فى ربحه . والأمة التى تكثر فيها جمعيات التعاون لا تخشى انحطاطا فى زراعة أو صناعة كما لا تخشى غلاء . واعتقادنا انه لا يمكن أن تنهض زراعتنا بلا تعاون ولذلك تستحق شركات التعاون الاعفاء من جميع الضرائب

٤ — وعلى ذكر الزراعة يجب ألا يفوتنا أن حكومات كثيرة تساعد الفلاحة بمنع اجازة ايقاع الحجز القضائى على الماشية أو الآلات الزراعية التى يملكها الفلاح الأجير أو المزارع المالك . وهذا المبدأ يعمل به فى معظم الصناعات . فلا يجوز مثلا ايقاع الحجز على أدوات النجار أو الحداد وبيعها بالمزاد سدادا لدين . وكذلك ينبغى اعفاء الات الزراعة وماشيتها لان فى هذا الاعفاء مصلحة اجتماعية كبيرة هى تمكين الفلاح من زراعة أرضه واستغلالها وصيانته من التعطل

٥ — بل هناك حكومات أخرى — مثل المانيا وسويسرا — تمنع ايقاع الحجز على المنزل مادام صاحبه يسكنه . والغاية من هذا الاعفاء صيانة الأسرة من التشرد إذ قد تبلغ الفاقة بالاسرة ألا يجد عائلها عملا يتكسب منه . فلا أقل من أن يترك له منزله مأمونا يؤويه هو وزوجته وأولاده . وهذا الاعفاء من الحجز وضمان منزل الاسرة من البيع بالمزاد الجبرى يشجع الفقراء على الادخار وبناء المنازل . والمنزل هو الضمان للاجتماع المستقر والبعد عن الجريمة

٦ — ومما يعفى أيضا من الضرائب اعفاء جزئيا الرجل المعيل . وعلى قدر عيلته يكون الاعفاء . وقد أخذت حكومتنا بهذا المبدأ الى حد ما اذ ميزت بين الاعزب والمتزوج والوالد . ولكن عدد الاولاد عندها سواء . وهذا الاعفاء الذى يتبعه كثير من الحكومات الحديثة يقصد به الى غايتين

الاولى — كما فى الدول الفاشية — تشجيع المتزوجين على التناسل . ولسنا نحن فى مصر فى حاجة الى ذلك وبخاصة ازاء الفاقة العامة . والغاية الثانية هى التخفيف عن عبء الابوين والرحمة بالمعيلين . فضريبة الدخل ينظر فيها الى عدد الاولاد ويخفض منها بمقدار الزيادة فيهم . بل ان السكك الحديدية فى فرنسا مثلا تنقل الاسرة الكبيرة باجور مخفضة لهذا السبب أيضا

وقد قلنا فى بداية هذه الكلمة اننا نكتبها للاستنارة فقط ولسنا نقصد الى أن تعمل بها الحكومة منذ الآن

ما تحتاجه الزراعة المصرية

لايحتاج الانسان الى أن يجول فى الريف لكى يرى مقدار الفاقة العامة بين العمال والأزمة السائدة بين المالكين والمستأجرين . لان متابعة الأخبار فى الجرائد تكفى ذلك . فاننا منذ سنة ١٩٣٠ ونحن فى أزمة تتزايد ولا تتراجع والفاقة تعم وتتفاقم . والمجهودات المتوالية التى قامت بها الوزارات المتعاقبة منذ تلك السنة الى الآن للتخفيف من ديون المزارعين والصيحات المتكررة عن انحطاط أثمان القطن ، والمكوس العالية التى تفرضها على القمح والاجور المنخفضة التى لاتكاد تكفى طعام الفلاح على سذاجته — كل هذا يدل على أن الأزمة التى نعانيها أعمق جذوراً مما نتصور . وأعظم ما تعلقنا به فى الوقت الحاضر هو :

١ — ان أثمان القطن قد انخفضت كثيراً . ولكنها تنخفض اكثر لو أرادت الولايات المتحدة الامريكية أن تخرج قطنها المخزون للعالم

٢ — لقد مضت علينا سنوات ونحن نزرع القمح بخسارة تخفيها المكوس الجمركية العالية المانعة لان ثمن القمح خارج مصر هو نصف ثمنه فى مصر

٣ — وحالنا أسوأ من ذلك فى زراعة قصب السكر وصناعته

فنحن فى حاجة الى تفكير جرىء ومبتكر معا لكى نخرج من هذه الأزمة التى تتفاقم عاما بعد آخر . اذ ليس هناك ما يبرر الأمل بأن أثمان القطن سترتفع ومخزون أمريكا كما هو الآن لا ينقص وليس فى النية احراقه أو منع المزارعين من زراعة القطن . وكل عام تتقهقر القطن امام الأقمشة المصنوعة

من الخشب لأن هذه فى ازدياد . أما من ناحية القمح فان العالم الزراعى يسدو عليه أنه راض ببيع الأردب بمبلغ ٧٠ أو ٨٠ قرشا فى حين أننا نخسر بهذه الاثمان ولولا أننا نأكل قمحا لما جرؤ فلاح على زراعة قيراط من أرضه بهذا النبات . وليس هناك أى أمل من المزاحمة فى صناعة السكر أو زراعة قصبه

وقد قلت أننا فى حاجة الى تفكير جرىء ومبتكر . وأعنى بذلك أن نفكر وندبر ونرسم الخطط ونقدر الخسارة والكسب ثم لانبالى أن نخرج على جمهور المزارعين بنظرية جديدة . لأن زراعتنا الحاضرة اذا تركت للمزاحمة العامة فى العالم فقد تعد غير منتجة أو قليلة الانتاج جدا . وهى تقوم على العقار الصغير فى حين أن زراعات القطن والقمح والقصب قد أصبحت وقفاً على العقارات الكبيرة فى أمريكا وجاميكا واستراليا وزيلاندا الجديدة وغيرها

واذن ليس امامنا إلا أن نتخذ الطرق المتبعة فى الاقطار التى يعيش مزارعوها على العقار الصغير مثل هولندا ودنمركا حتى نصل بالتعمق الى ما يصل اليه غيرنا بالتوسع . فيقوم الفدان بالعمل الجاد المثابر مقام العشرة الافدنة بالعمل المتخلف . وقد ثبت أن العناية بانتاج الزبدة والجبن والبيض والفراخ والاثمار والخضراوات تعود على الفلاح فى هولاندا باكثر مما يعود به علينا القمح والقطن .

ولست أعنى أن هذه الزراعة الدقيقة سهلة يمكن فلاحنا اصطناعها اذ هى فى الواقع أشق مما نمارس من الزراعات سواء من ناحية تعلمها أم من ناحية الأخلاق الصارمة التى تحتاج اليها . ولكن هنا يجب أن تسعفنا الجمعيات التعاونية . فان الفلاح لا يمكنه أن يعرف الدقائق فى الصناعات الزراعية المختلفة التى سنطالب بها . ولكن الجمعية التعاونية يمكنها أن تستخدم مهندساً يقوم بكل ما تحتاج اليه فى التطور الجديد

ومنذ أشهر احتفل الانجليز بمرور مائتى سنة على وفاة لورد انجليزى يدعى اللورد تونسند . وقد كان هذا اللورد سياسياً عظيما خدم وطنه سفيرا فى عواصم أوربا ووزيرا للدولة . ولكن الاحتفال لم يكن لمآثره السياسية بل كان لسبب قد يعد تافهاً فى نظر القراء أو بعضهم . ولكنه ليس تافهاً فى نظر الانجليز وهو أنه أدخل زراعة اللفت فى انجلترا

وذلك أن الزراعة الانجليزية حوالى سنة ١٧٠٠ كانت فى تدهور عظيم وكانت الفاقة تعم الامة

كانها إذ لم يكن العصر الصناعي قد ابتدأ . وكان الفلاحون لايعرفون من العلف مدة الشتاء سوى دريس القمح . وكانوا لهذا السبب يذبحون ماشيتهم بكثرة في أول الشتاء ويملحون لحمها أو كانوا يتركونها على قحط حتى اذا كان أول الربيع حملوها من الضعف الى المرعى الجديد لانها كانت في نهاية الشتاء تضعف عن الحركة لقلة الغذاء . وكان اللفت الذي يزرع حينا وبذر لكي تأكل الماشية ورقه فقط . ولكن تونسند بتجواله في أوربا عرف سلالة جديدة من اللفت فجاء ببذورها وزرعها نقرا بالخطوط كما تزرع نحن القطن .فأمرع اللفت واينع . ونمود الفلاحون اختزان الجذر مدة الشتاء علفا للماشية وانتعشت الزراعة الانجليزية بعد الموات ووجد الفلاحون من الخير ما جعلهم يثبتون في الارض الى أن جاء عصر الصناعة بأرباحها العظيمة التي لايمكن أية زراعة أن تجاريها فيها

هذا هو الرجل الذي احتفل به الانجليز وهذا هو السبب الذي احتفلوا به من أجله فقد نسوا أنه كان وزيرا وذكروا أنه جاء بسلالة حسنة من اللفت الذي يغذي الماشية مدة الشتاء . فهل من مفكر مبتكر في مصر ينعش زراعتنا ؟

الادوية الجاهزة

تثار من وقت الى آخر مسألة الادوية الجاهزة . ومثيروها هم الصيادلة المصريون الذين يرون هذه التجارة تطغى عليهم وتفقرهم مع الاضرار بمصالح المرضى والجمهور بل لما فيها من الضرر بالاطباء انفسهم ايضا . واعتقادنا ان الصيادلة على حق في كل مايشكون منه من هذه الناحية

ويحتاج قبل ذلك الى ان نقول ان المزاحمة الحرة التي تجري بها جميع الاعمال في اقطار العالم تلجيء المتزاحمين الى اتخاذ جميع السبل للوصول الى النجاح بصرف النظر عن القيمة الاخلاقية لهذه السبل ، لان الغاية في نظامنا الاقتصادي ان نحصل على المال وان نتكاثر به . وعلى هذا الاساس ينبني كل شيء آخر . ولذلك تصنع الآن أدوية جاهزة وكل مافيها من ميزة انه اعلن عنها الاعلان الراقي الذي يجذب العين ويشغل القلب حتى يتم شراؤها . ولاعبرة بعد ذلك بألا يجد فيها مستهلكها ما اراده اذ يكفي صاحب هذه المجهزات ربحا بل ربحا عظيما ان يبيع مرة واحدة لمشتر واحد . فالدواء

قد لا يكلف صانعه فى ذاته غير مليم او بضعة مليمات . وقد لا يكلف ضعف هـذا المبلغ فى تعبئته فى القنانى او العلب . ثم نحو عشرة امثال ذلك فى الاعلان . وبعد ذلك يباع بالغلاء الى المستهلك الذى تغريه ألفاظ الاعلان وهى ألفـاظ كثيرا ما تنبو عن الذوق ولـكن الحرص على جمع المال يدفع الى استعمالها . كما رأينا قبل أيام او اسابيع فى اعلان يوهم القارىء ان الدواء الجاهز المعروض للبيع قـد صنعت خلاصته من « الثور الهائج » والتلميح المقصود هنا يكاد يكون تصريحاً ..

والمريض فى حالة نفسية تدفعه على الدوام إلى التعلق بالآمال . ولو كانت كاذبة . ومن هنا الاقبال العظيم على شراء الادوية الجاهزة . لأن المريض وهو يتنقل من طبيب الى آخر ويجد فى علته استعصاء يندفع الى قراءة الاعلانات ويسأل هنا وهناك ولا يبالى ان يؤدى بضعة جنيهات فى تجارب مختلفـة . ومعظم الادوية الجاهزة التى يسمح الجمهور بشرائها خالية من الضرر ولذلك لن يجد المرضى ما ينفعهم من التجارب الشخصية . والاعلانات التى تكتب على القنينة او العلبـة هى دعاية ناجمة وصانع الدواء لا يبالى أن يقول ان دواءه مفيد لنحو عشرة أمراض او عشرين مرضا . مع ان كثيرا من هذه الامراض لا يزال اساطين الاطباء حائرين لا فى معالجته فقط بل فى الوقوف على كنهه مثل الروماتزم والضغط العالى ولا نقول السرطان وغيره

على ان هناك مع ذلك ادوية جاهزة مفيدة ينصح الاطباء باستعمالها ويمنع الصيادلة من بيعها للجمهور الا باذن من الطبيب . وجميع هذه الادوية تقريبا يمكن الصيدلى المصرى أن يصنع نظائرها . ولـكن الطبيب يرى ان كتابة اسم الدواء الجاهز ايسر واعجل من كتابة الوصفة بمقاديرها المختلفة وهو لذلك يلجأ اليها . ولـكنه هنا يضر نفسه كما يضر الصيدلى . وذلك لأن اعتماده على الدواء الجاهز ينسيه فنه الذى تعلمه فلا يستطيع بعد مدة ما ان يؤلف اجزاء الدواء . وهنا خسارة فنيـة واضحـة للطب فى مصر . ولعل هناك ايضا ضررا بالمريض . لأن الحكمة الطبية الفرنسية التى تقول « هناك مريض وليس هناك مرض » لا تزال صحيحة . وهـذه الحكمة تناقض تعميم الادوية الجاهزة اذ ليس المرضى كلهم سواء . والدواء مثل البذلة التى تلبس يجب ان « يفصل » على قد المريض كما تفصل البذلة سواء . والدواء الجاهز كالبذلة الجاهزة قد صنعت لـكل الناس وهى قد لا تليق لاحد من الناس

ثم هذا الدواء الجاهز يضر بالصيدلى لانه ينقل الربح من الصيدلى المصرى الى التاجر الاجنبى فى توكيو او واشنطون او بودابست . وهذا التاجر الاجنبى لا يترك للصيدلى المصرى سوى اقل

الربح بضعة مليات لا اكثر، كما انها تضر بالصيدلى ضررا فنيا لانها تنسيه تأليف الاجزاء للدواء.

وفى النظام الاقتصادى الذى يعم العالم المتمدن كثير مما يستحق النقد لان غاية الجميع الكسب الفردى وليس الخدمة العامة. وهذه الادوية الجاهزة هى اعظم برهان على ذلك. لان الباعث على كثير منها لا يزيد على الطمع الاعمى فى جمع المال، ونذكر فى هذا الصدد قصة للكاتب الانجليزى ولز تسمى « تونو بنجاى » وهذا اسم دواء جاهز اخترعه رجل من العامة لا يكلفه غير مليات ولكنه يعلن عنه بألوف الجنيهات وينشىء الجرائد والمجلات والغاية الظاهرة منها خدمة الثقافة او السياسة او التسلية ولكن الغاية المستورة هى الاعلان عن هذا الدواء ويجمع عشرات بل مئات الالاف من الجنيهات بعد ذلك. وتونو بنجاى لا يقل فى قيمته عن ٩٩ فى المائه من الادوية الجاهزة التى يعلن عنها فى كل مكان.

وقد كان غاندى يشترى المسهلات بالجنيهات. ثم اهتدى الى طريقته فى العيشة الساذجة فاستغنى عنها. وهو الآن فى السبعين من عمره لا يشكو مرضا ويقنع بطعام لا يكلفه فى العام كله اكثر من جنيهين او ثلاثة جنيهات. ويمكننا جميعا ان نسلك سلوك غاندى لو كانت لنا ارادته وحكمته.

ولكن مادمنا محرومين منها فلا اقل من ان تحمينا الحكومة من حماقتنا وتفرض قيودا تقلل من بيع الادوية الجاهزة حتى لا ننخدع بالاعلانات ونعش لا ينشى الاطباء والصيادلة فنهم الذى تملوه وحتى لا نخسر كل عام نحو مليون جنيه يكسبه تجار فى توكيو ولندن وواشنطون وبودابست وغيرها من البلاد الأجنبية

الطاغية

لا يعد الطغيان نظاما حكومية بمقدار ما يعد موتا سياسيا. أو هو نوم ينطفىء فيه المجهود اليقظ لان الشعب يعود وكأنه مادة جامدة ضخمة يصوغها الطاغية فى الشكل الذى يشاء. وهو يبعث الى الشعب بمشعوذين يعلمون دينه باسم الكهنة ويملأون عقوله بأحلام ملائمة للطغيان. وهو يظلم عقول الشعب بهؤلاء الرجال كما لو كان يطعمهم مخدرا ذهنيا. ثم ينزع منهم رويدا رويدا جميع الاصول والعواطف الحرة التى تحوى الرجولة والشرف. وأخيرا يحاول أفراد هذا الشعب بفنون بهلوانية حتى يحيلهم الى خنازير. ثم يخزمهم من أنوفهم وبعد ذلك يخلى عنهم فى حظيرة الاستعباد لكى يأكلوا ويسمنوا فى خدمته

افلاطون

(الميعـاد)

لا البرق زار ولا خيالك عادا ما اكذب الامال والميعـادا
عجبا لحبك يامخيلة كيف يخلق من جوارح عابد حسـادا
انى لاهتف حين أفترش المدى وأرى الجحيم لجانبي مهـادا
آها على الرأس الجميل سلا وأغفى معطفنا لا يحس سهادا
فرشت له الاحلام واحتفل الهدوء به ومد له الجمال وسادا
واحيرتى ما بين عينك والهوى لاترتوى وهواى فيك تمادى
صنعت بقلبي صنمهـا وأحبها حبا على رغم المساءة زادا
ياحبها ما أنت . ماهذا الذى جمع الغريب والف الاضدادا
يمشى علينا بالقضاء كما اشتهى ويصرف الاقدار كيف أرادا
مات الرجاء مع المساء وانما كان الممات لحبنا ميلادا
الصبح بعدك كالغراب لناظرى والليل فى ناديك ليس سوادا

الدكتور
ابراهيم ناجى

الله أكبر

كتاب مجرى عن الاقطار الاسلامية

كان المستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس أستاذ التاريخ الشرقى بجامعة بودابست قد زار مصر من سنوات أربع ولقى حفاوة نادرة المثال من أدبائها ، ثم عاد الى بلده وتفرغ من ذلك الحين الى وضع كتاب يدون فيه رحلته وملاحظاته وخواطره .

وقد صدر أخيرا هـذا الكتاب فى اللغة المجرية بعنوان « الله أكبر » ويقع فى مجلدين ضخمين تزينهما صور ورسوم أنيقة واضحة تشمل الأماكن الاسلامية المقدسة ، فى الهند والحجاز ومصر .

والمجلد الاول مصدر بكلمة نفيسة للدكتور جرمانوس يقول فيها « يصير العلم نفسه عدما وتزول قيمته مالم تحيه المثل العليا من الحب والاخوة . وقد أتى الاسلام بالعلم والحب والاخوة الى بنى الانسان

« هناك فى بلاد المجر النائية حيث كان منذ قرون يبعث الاذان من فوق مائة من المآذن ، أحسست حرارة الايمان تشع من قلوب المسلمين الاتقياء . كنداء لابد من تلبيته ، فشرعت فى رحلتى لكى أحصل على العلم والمودة التى طلبوها إخوانى المسلمين ، وها هى ثمرة رحلتى فى هذا الكتاب .

لقد اجتزت طريقاً طويلا محفوفا بالمخاطر فى تركيا والهند ومصر وبلاد العرب . ونال جسمى الأعياء من التعب وكدت أهبط ولكن روحى ازدادت قوة عندما رويت ظمئى من معين لا ينضب من تعاليم الاسلام الشريفة .

« اخوانى المسلمين : الغنى يعطى من ماله ، والفقير من نفسه . لقد أتيتكم غريباً عنكم وعدت صديقا لكم ، جئتكم أعمى ففتحتم عينى فبارك الله فيكم لقاء ما قدمتموه من كلمة طيبة وعمل صالح ، وتقبلوا كتابى هذا دليلا متواضعا على ما أشعر به فى قلبى من اعتراف بالجميل »

وفى المجلد الاول أبحاث شائقة تدور حول موضوعات : لماذا اعتنقت الاسلام ، الاسلام دين الفطرة ، زيارتى الاولى لمسلمى البلقان وتركيا ، رحلتى الى الهند ، اعتناق الاسلام فى مسجد دلهى الكبير ، أربعة آلاف مسلم يشهدون اسلامى ويعانقوننى . عودتى الى اوربا وتوفرى على ترجمة القرآن الى اللغة المجرية .

وفى هذا المجلد باب خاص بمصر ، ووصف تاريخى لمصر الحديثة ، ثم الازهر وأثره فى الحياة

الدينية والعقلية للمسلمين ، وأخيرا بحث عن الادب المصرى والتطور الذهنى للمصريين ، يتخلله تحليل لمؤلفات أعلام المدرسة الحديثة كهيكل ، وسلامه موسى ، وطه حسين ، والعقاد والمازنى . ففصل قيم عن جهود أدباء الشباب واتجاههم شطر الغرب ومحاولتهم التنصل من المقاييس القديمة فى الادب كابراهيم المصرى وتوفيق الحكيم ومحمد أمين حسونه واحمد رامى ومحمود تيمور . ثم نقد لشعر كل



الدكتور
عبدالكريم جرمانوس

من شوقى وحافظ ومطران واحمد زكى ابو شادى . واختتم المجلد الاول بفصل عن رجال الازهر كالمراغى والظواهرى والنجار

ويحوى المجلد الثانى رحلة الدكتور جرمانوس الى الحجاز ووصفاً شائقا لموسم الحج وبيان أشهر الآثار الدينية ، ومقابلة المؤلف الملك ابن السعود ولمحات تاريخية وجغرافية لجزيرة العرب ودراسة ممتعة للأدب الجاهلى ثم فصل عن أحوال العرب من النواحى الاجتماعية والسياسية

وقد صدرت ترجمتان لهذا الكتاب احداهما بالالمانية والاخرى بالايطالية والمنتظر أن تذاع له ترجمتان فى الانجليزية والفرنسية .

بناء البيوت الأنجليزية

أحسن ماعند الانجليز فى بلادهم بيوتهم التى لاتمثل النظافة فقط بل تدل على المتانة وتحمل فى جوها روح الألفة والاستقلال. ولعل مما يدل على هذا أن الأنجليزى يكره السكنى فى شقة ويؤثر على الدوام بيتا مستقلا ببناء مستقل له حديقة . ومن الأمثال الانجليزية « بيت الانجليزى هو حصنه » وإذا كان لهذا المثل قيمة فى احترام الحرية فان له قيمة اخرى فى احترام الحياة العائلية وفى التقدير للمنزل . وكثيراً ما يؤكد الانجليز الفرق بين لفظى « منزل » و « بيت » . وهذا التأكيد يدل القارىء على التمييز الدقيق فيما يمس الحياة العائلية والعناية بها

والبيت الأنجليزى يمثل المزاج الأنجليزى . فانه يخلو من البهرجة . بل بعض المنازل لايدل ظاهرها على قليل او كثير من الزينة لأن الطوب الأحمر يبدو كما هو بلا طلاء ولكن الرفاهية عامة فى الداخل سواء من حيث المعدات الصحية او من حيث اختيار الأثاث الجيد . وهو مع هذه الرفاهية يخلو من الترف . فلا تجد كرسيا مذهبا ولكنك تجد مقاعد مريحة كأنها قد أعدت لمريض يحتاج الى الأطمئنان التام

وهذه العناية بالبيوت أصيلة فى الاخلاق الانجليزية وهى تبدو فى قوانينهم القديمة التى مضى عليها مئات السنين . ولما اخذت الحركة الصناعية الجديدة فى نهاية القرن الثامن عشر تجمع العمال فى بعض الاحياء وتزحمهم فى مساكن سيئة انشئت « جمعية » للبناء سنة ١٧٨١ فى مدينة برمنجهام لكى تبنى منازل جديدة نكافح بها الازدحام . واستمرت الجمعيات فى النمو والتكاثر تبنى المنازل وتبيعها للفقراء والمتوسطين الى ان اصبحت تعد بالمئات وزاد ماتقتنيه من اموال الى ان صار يعد مئات الملايين من الجنيهات . ففى سنة ١٩١٣ كان مقدار ماتملكه هذه الجمعيات (اى الشركات) لايزيد على ٦٥ مليون جنيه وهو الآن يبلغ ٧١٠ مليون جنيه اى انه زاد ١١ مثلا. وعلى القارىء ان يلاحظ التسمية هنا ومغزاها . فان للجمعية معنى بعيدا عن التجارة التى تتسم بها الشركة مع ان لها اسهمها وحساباتها وارباحها كما هو الشأن فى الشركات . ولكنها من حيث الخدمة العامة تشبه « جمعية » التعاون . وهى تنال من الحكومة البريطانية ومن المجالس البلدية ألوانا من

الأعانات المالية أو العقارية . بل ان وزارة المالية تتجاوز عن بعض الضرائب التى تطلب منها أسوة بالشركات التجارية . وكل هذا تقوم به هذه الهيئات الرسمية لكى تشجع جمعيات البناء على النشاط المستمر فى بناء المنازل كما تشجع أفراد الشعب على المساهمة اى شراء الاسهم التى تصدرها هذه الشركات طمعا فى الربح

وقد استطاع الانجليز ان يبنوا منذ الحرب الكبرى أى فى ظرف السنين العشرين الماضية أربعة ملايين منزل أو بالارقام المضبوطة ٩٤٨ر ٨٢٤ ر٣ منزل . فاذا فرضنا أن كل منزل يسكنه ستة أشخاص فان ٢٤ مليون انجليزى قد انتقلوا من مساكنهم القديمة الى مساكن جديدة منذ الحرب ولكن ليس هذا كل شيء . بل العبرة بالخطة البديعة التى تتبعها هذه الجمعيات . فانها لا تؤجر المنازل . بل تبنى وتبيع بالاقساط . فبدلا من أن يؤدى الساكن أى رب البيت اجر السكنى الذى لا ينقطع مدى حياته بل بعد موته يؤدى قسطا استهلاكيا بحيث يصبح مالكا بعد ٢٠ أو ٣٠ سنة . ويجب ألا ننسى ان الساكن الذى يؤدى أجرة سكناه ثلاثة جنيهات فى الشهر انما يؤدى فى عشرين سنة نحو الف جنيه اذا احتسبنا ربحا صغيرا جدا لهذا المبلغ . وعلى ذلك ازداد عدد المالكين فى بريطانيا جملة ملايين هم الآن قاعدة متينة للأمن العام والطمأنينة الشاملة . لأن رب البيت الذى يملك بيته هو أبعد الناس عن الجريمة . وهو وزوجته وأولاده يشعرون جميعاً أن لهم فى الهيئة الاجتماعية مصلحة هى السهر على الرخاء العام والحضارة المنظمة

وقد يدهش القارىء اذا عرف ان مجموع ما أقرضته البنوك الانجليزية على البناء منذ الحرب الكبرى يبلغ ١٣٥٠ مليون جنيه قد استهلك بالطبع كثير منه

ولكن حتى ضخامة هذا المبلغ لاتدل على مقدار النشاط فى حركة البناء . لان هذا المبلغ المقترض ليس بالطبع كل ما انفق . فان كثيرا من المالكين قد ساهم بنصف الثمن اوربعه . ولأن بعض الارض قد سلم للجمعيات بالمجان . وعلى الرغم من الحركة الشاملة للتسلح لا يزال للبناء اوفى حظ من النشاط الانكليزى هؤلاء هم الانكليز الذين يعمرون بلادهم يهدمون القديم لكى يبنوا الجديد ويشغلون اذهانهم بالصحة الاجتماعية . وهل يحتاج الاجتماع الصحيح الى افضل من البيت الحسن يعيش فيه سكانه ويملكونه ؟

اجل . ما احوجنا الى مثل هذه العقلية الاجتماعية فى مصر

اندريه جيد والثقافة

الاستاذ جورج عزيز

الحديث عن اندريه جيد ليس من السهولة بحيث استطيع ان ألم بادبه المتناهي في القوة والخصوبة وفلسفته التي ان بدت دانية ميسورة بعد طول التأمل والتفكير فانما ذلك لأنها بعدت عن اللغو ، في فصل قصير كهذا ، ذلك بأن هذا الكاتب العبقري الذي ذاع صيته في جميع انحاء العالم خير النقاد الفرنسيين على اختلاف مذاهبهم في النقد بشخصيته ومزاجه وميوله ، ثم بتنوع جوانب تفكيره وسعة وحيه والهامه . وهذا فيما ارى راجع الى حياته عامة ، وطفولته وشبابه بنوع خاص ، أضف الى ذلك أنه أديب بفطرته ، لا يتصور الحياة الا مستمدة من الفكر ، مستندة اليه ، قائمة عليه . فلقد أقسم أن يصدف حتى اليوم الذي ينتقل فيه من الوجود الى العدم عن الأوسمة والنياشين والاجازات الفخرية وآية ما أذهب اليه أنه قال منذ ثلاثين سنة تقريبا « لو لم اكن مشغوفا بالادب الى هذا الحد لكنت الان عضوا في الاكاديمي فرانسيز »

يحدثنا « جيد » عن طفولته في أحد مؤلفاته فيقول انه من أصل بروتستانتي ، وانه كان كصاحبه « مارسل بروست » أسير الامراض الى ان بلغ العشرين أو كاد ، وانه تأثر كثيرا بمبادىء مدرسة « الرمز » وبخاصة « ستندال » و « بودلير » و « نيتشه » و « دستوفسكى » وعرف من هؤلاء جميعا ان الحياة لا تعرف الا بالمغامرات ، وأن المرء لا يستطيع أن يحوز شيئا الا اذا لجأ الى الجهد والقوة ، وأن من حق الفن أن يتجاوز دائرة الاخلاق ، بل لا معدى له عن أن يتعدى هذه الدائرة الى حيث يستطيع أن يستمتع بالحرية !

والذى استطيع أن ألاحظه على « اندريه جيد » أنه يشعر في نفسه بميول واتجاهات متناقضة ، وهذا التناقض يشتد حينا ، ويفتر ويضعف حينا آخر ، بيد أن « جيد » لا يرغب في القضاء على هذه

الميول والاتجاهات ، ولا هو يريد ابادة أحدها لاحياء الاخرى ، وانما هو يتركها على ما هي عليه من التناقض رغبة منه في أن يقف منها موقف الحكم الفنان .

وهو لا يتجاوز في مؤلفاته نطاق الفطنة والذكاء فهو يصور لك بريشة الفنان الماهر ، وفي قالب واضح لا غبار عليه ، مختلف العواطف ، وشتى الانفعالات التي يحسها على ضوء الفطنة والذكاء .

فانت واجد في كتبه كل أوضاع الفن ، وأنت واجد كذلك ضروب الصفات ، وألوان الطبائع والسجايا ، بيد انه يصدف عما ألفه الناس منها ، ويؤثر عليها الشاذة النادرة ، وهو لذلك كثيرا ما يفضل ما تغلب عليه الصنعة على ما هو طبيعي ، اذا ما كان مستكملا للشروط التي قدمت . أضف الى هذا كله انه يجنح الى كل ما يتطلب لتفهمه ذكاء حادا ، وكل ما يحتاج الى ذوق فيه بعض التعقيد والالتواء ، كما يميل اليه القارىء .

ويقدم لك « جيد » نظريته في التحرر الخلقي في أسلوب سهل قوي ، هو مزاج من كثرة اطلاعه على الآداب القديمة ، ورغبته في سبك أسلوب يتفق والعصر الحديث . ولادبه تأثير كبير في نفوس الشباب ، اذ انه يلائم هذه النفوس من حيث نزعتها التجديدية ، ورغبتها في الوصول الى الحقيقة واجتلائها ، ولو أدى ذلك الى انهيار صرح ما تواضع عليه الناس .

وفلسفة « جيد » قائمة أولا وقبل كل شيء على الاخلاص والصراحة . وظاهر ان الاخلاص بمعنى الكلمة ليس من السهولة على النحو الذي نتصوره ، لانه يتعين على المرء أن يعرف نفسه تمام المعرفة كيما يتيسر له اماطة اللثام عنها في صورة مجلوة لا غبار عليها

وبعد . فما الذي يريده جيد ؟ انه يريد أن يتحرر الشعور الخلقي الذي جارت عليه القوانين وأوشكت على خنقه ! انه يريد أن يستحيل جمود الحياة وشدتها وقسوتها إلى عالم آخر مبناه الصراحة والضوء والحرية ، وملؤه المرح والبهجة والسرور

هذه صورة موجزة أشد الايجاز ، غامضة المعالم الى حد كبير ، ولكنها على الرغم من ذلك تعطيك فكرة عن هذا الكاتب العبقري الذي يعتبر بحق أمير الناثرين الفرنسيين في هذا العصر الذي نعيش فيه

• • •

وفي ما يلي كلمة ألقاها أندريه جيد في الثقافة

نستمد من تأثير الخطر الذي نشعر بدنوه أو الذي جمعنا ووحد صفوفنا اليوم في كل شعب، تعاليم عامة عظيمة الفائدة. جليلة الخطر، لأنها تتصل بالانسانية الى حد بعيد.

وأني أحاول اليوم ايضاح أمور يحيق بها اللبس والابهام، أو لها هذا الخلط الذي يحاول أنصار الوطنية ايجاده بين فكرة العالمية وبين حب الوطن. لقد فسروا كلمة « الوطن » تفسيراً ضيقاً لا نجرؤ على النسج على منواله. وأننا جميعاً لا نوافق على أن حب الوطن الاصلي يقوم على كراهية وبغض ماعداه من البلاد، إذ في وسعنا أن نحب العالم أجمع. وظاهر أن ذلك لايمكن أن يحول دون محبتنا أوطاننا الاصلية في نفس الوقت.

اني سأتكلم كأديب. وسأقتصر على التحدث عن الثقافة والادب، لأن الادب يفرق بين العام والخاص، بين العرض والجوهر، بين ما هو انساني وما هو فردي. ألا يمثل « سرفانتس » أدب اسبانيا تمثيلاً حقيقياً كما يمثل « شكسبير » الادب الانجليزي وكما يمثل « جوجول » الادب الروسي، و« رابليه » و« فولتير » الادب الفرنسي؟

ان جميع هؤلاء الادباء يصلون الى عمق الافكار بإظهار أمزجتهم الخاصة التي تميز بعضهم عن بعض ولذا فاني لا أجد مانعاً من أن أتكلم بينكم كفرنسي. ولست مخطئاً اذا درست هذا الموضوع الخطير الذي نحن بصدده من وجهة النظر الفرنسية وسأتي أولاً نظرة صريحة على أدبنا من حيث مظهره العام:

أندريه جيد

لقد ذكرت فيمن ذكرت اسم رابليه

ادخل هذا الكاتب على الأدب الفرنسى عنصرا فياضا لم يحذ أحد حذوه . وانه ليمثل بلادنا تمثيلا حقيقيا كما يمثل عصره أيضا . ولقد مال ادبنا بعده الى الهدوء والسكينة

* * *

وامتاز بالابتعاد عن الحياة وعن مصاعبها وحوادثها . وانى أتكلم هنا بطبيعة الحال عن ادبنا الكلاسيكى الذى كان يعتبر المؤلف والمتفرج والقارىء والممثل بمنأى عن الحاجة واقتصرت مهمة الاديب على التكلم عن الاغنياء أمام الاغنياء . ولم يكن علينا أن نهتم بما اذا كان الاديب سعيدا أم شقيا وكانت لاتقلقنا معرفة مصدر ثروة الممتازين الذين تقدم ذكرهم وبقى الفكر والادب بعيدين عن هذه المسائل المحرجة . والرجل الذى يظهر فى روايات «راسين» الرائعة شخص له متسع من الوقت لكى يهتم بنفسه وبعقله وبعواطفه وبميوله حتى تنمو وتترعرع .

لا أريد أن أطعن فى هذا الادب . فانى معجب به وبآثاره الخالدة . وانى لاقول انه لم يصل من قبل (من تاريخ قدماء الاغريق الى الآن) الى درجة الكمال التى هو عليها اليوم

وقد قال بعضهم ان ما تمثله روايات ودرامات القرن السابع عشر من ملوك وملكات لا يثير اهتمامنا . وهذا خطأ ولا يسعنا الا ان نأسف لهؤلاء القوم الذين لا يشعرون من جهة بجمال عبارات وحركات تلك الروايات ومن جهة أخرى لا يعرفون اكتشاف حقيقة تلك العواطف التى تكسوها وتدار بها ثياب الملوك . ولكن جميع أشخاص هذه الروايات أناس من أصحاب الامتيازات وكادت الحياة تنعدم فى هذا الادب لاقتصاره على درس هذه الطبقة وما لها من عواطف وأفكار .

فاذا ابتعد الفن عن الحقيقة والحياة كان مصيره التصنع والتكلف . ليس فى أوربا أدب أقرب الى التكلف والتصنع من الادب الفرنسى بعد استثناء الادب اللاتينى الذى تحدى الادب الفرنسى الكلاسيكى فى هذا المضمار

لا يتجدد الفن ولا ينمو الا إذا استمد قواه من أرض بلاده ومن روح الشعب وهو شبيه بأنتيه « Antee » الجبار الذى ذكرته الميتولوجيا فكان يفقد قواه ومواهبه عندما ترتفع قدماه عن الارض والفضل فى تدعيم الادب الفرنسى فى القرن السابع عشر لا يرجع الى مونتسكيو أو فولتير رغم

نبوغهما بل يرجع الى جان جاك روسو وديدرو وكلاهما من أبناء الشعب .

ولما نشأت الحركة الرومانتية فى الادب الفرنسى أخذ أنصار هذه الحركة يقاومون جماعة التقليديين وتكلفهم الادبى باخراجهم مؤلفات لا تقل تصنعا أو تكلفا عن مؤلفات التقليديين ، هذا راجع الى ميل الاديب الفرنسى الى الصناعة اللفظية وشغفه بها ما جعل الادب الفرنسى لا يحيد عن طريق التكلف والتصنع

وكان لامرتين وموسيه وفينى وهوجو من كبار أنصار الرومانتية ومما هو جدير بالذكر أنه ليس بين هؤلاء الادباء من خرج من « الشعب » بحيث يستطيع أن يبعث الحياة فى أدب بلاده ويبث فيه روحا جديدة . وقد شعر فيكتور هوجو بهذه الحقيقة وحاول طوال حياته أن يتقرب الى الشعب ليمثله وينطق بلسانه

هل أبالغ فى قولى أن أدباءنا يميلون الى التكلف والتصنع ؟

كلا لست أغالى فى شىء ويروقنى أن أسمع أحد نقاد اليوم يتولى الدفاع عن المدنية فى مقال نفيس ويقر بالناحية المتكلفة من ثقافتنا .

واليك ما يضطرنا الى تحديد موقفنا

قرأنا فى أحد أعداد « الاكسيون الفرنسيز » الحديثة العهد ما يأتى « المدنية هى الكذب . هى المجهود الذى يبذل لاحلال الرجل المتكلف مكان الرجل الطبيعى والاستعاضة عن عريه بلباسه وزيه وقناعه »

ثم يستأنف هذا الناقد فيقول : « ان هذا الكذب البديع الذى تقوم عليه المدنية هو سبب وجودها وعظمتها وعظمتنا نحن أيضا »

اما انا فأقول كلا . لا يسعنى الاعتقاد بأن المدنية أساسها الكذب حتما . فمدنية متكلفة هى نم المرآة والنتيجة الطبيعيتان لحالة اجتماعية كاذبة تحمل فى ثناياها جراثيم الفناء والزوال وتبدو الاعمال الناجمة عنها عليلة سقيمة كالحالة الاجتماعية التى تسمح بها فان لم نعرف كيف نقضى على ذلك كله فقل علينا السلام .

ولقد أخذت الثقافة المصطنعة وقتها

على أنى أكرر قولى بأنى لا أطعن مطلقا فى هـذه الثقافة لانها معا كانت متكلفة فقد صادفت ثمارها الاعجاب والاستحسان . أما انكار الماضى فلا طائل تحته ولا جدوى ، وانى أجاهر بأن الثقافة التى نحلم بها الآن ما كانت لتبرز الى عالم الوجود لولا ظهور تلك الثقافة المنطوية على الكذب والنفاق أولا . غير انى أقرر بان أدب اللغة والثقافة والمدنية كل هذا يمكن أن ينمو ويشب ويترعرع فى اتجاه مضاد ومخالف لتلك الثقافة الماضية

يخاصمنى صاحب هـذا المقال الذى أوردته ويجعلنى فى صفوف أعـداء الثقافة لـكونى رسول الصراحة . كلا لسنا نأخذ على الثقافة فى حد ذاتها شيئا بل نأخذ عليها ما فيها من تزييف اتفق عليه .

ثم يخرج صاحب المقال مما بسطه فى مقاله انه يجب الاختيار بين المدنية والصراحة .

أما أنا فانى أصرح بأنى لا أسلم أبداً بأنه لا بد للمدنية من ان تـكون غير مبنية على الصراحة وكلنا يدرى ما يجب أن يفهم من وراء ذلك ، كما انى لا أسلم بأن الانسان لا يستطيع أن يسير فى طريق المدنية والحضارة الا عن طريق الكذب والمواربة . ويلوح لى أن فكرة الصراحة هـذه على جانب عظيم من الاهمية ولا تستريح نفسى لقصرها على الادب .

وانى أقول ان الهيئة الاجتماعية هى الاخرى غير صريحة عندما تخنق صوت الشعب فى صدره ، ان الهيئة الاجتماعية غير صريحة عندما تدع الشعب يرسف فى أغلال العبودية والغفلة والجهل .

لقد وطنت نفسى فى مستهل حياتى العملية على العمل ضد المبدأ الذى كان ينادى به الوطنيون فى ذلك الوقت وهو « لقد قال الانسان كل ما عنده فلا يستطيع الآن سوى التكرار »

ولنرجع قليـلا الى الوراء فاذا ذكر لفـظ « أدب » خطر فى الذهن معنى « الاتصال » والمراد معرفة من يتصل به الاديب — وانه يحدث أحيانا فى بعض الآداب وفى الادب الفرنسى خاصة أن كاتباً من الطبقة الاولى لا يلتفت اليه مطلقا فى عصره . فهل يمكن أن يقال — تبعا لذلك — ان مثل هذا الـكاتب لا يكتب الا لنفسه ؟ كلا ذلك الاتصال الذى ليس فى وسعه أن يناله لا بد أن يتحقق له مع مرور الزمن

أنى أعود بفكرى الى بودلير ورامبو وستندال ونيتشه ووليم بلاك ومافيل

* * *

تسرى فى كل عمل من أعمال هؤلاء الكتاب قوة اتصال متينة ولكنها متبطنة بالمستقبل . وانى ابتغى أن أستخلص من هذا انه لا يحسن مقاطعة كاتب لم يوجه كلامه اولا الا الى قراء قليلين .

أما كبار الكتاب الذين لم يلتفت اليهم — وقد تكلمت عنهم فيما تقدم والذين يطبع من كتبهم الان العدد الوافر — فقدادوا خدمات جليلة لنشر الثقافة .

ان اتصال الكاتب البرجوازى بطبقته ضرب من المحال كما أن اتصاله بالشعب محال أيضا طالما ان الشعب على حالته الحاضرة وطالما هو بعيد عن الحالة التى يمكنه أن يحصل عليها بمساعدتنا .

وذلك ليس فى متناول اليد الا اذا وجهنا الكلام الى القارىء المجهول الذى سيجد فى المستقبل غذاء انسانيا يعود عليه بالنفع الجزيل

اننا لا نزال فى دور النضال وهـذا النضال لا نحبه أو نريده لذاته بل للغاية الموجودة فيه . أن الثقافة ترمى الى تحرير العقل وفك قيوده لا الى استرقاقه واستعباده .

نسيج

سمعنا عن النسيج الذى تصنعه ايطاليا والمانيا والولايات المتحدة من اللبن وهو صوف القوام والملمس . ورأينا الانسجة التى تصنع من الخشب ولبسنا بعضها . وهى الريون

والآن يقول الدكتور جوبلز وزير الدعاية فى المانيا أن معرض ليبزيج الاخير قد عرض فيه نسيج جديد صنع من الفحم والجير . وهو لا يضاف اليه شىء من القطن . وهو متين وحسن . ولكنه يذوب على درجة ٥٠ من قياس سنتغراد

وهذا واحد من الانتصارات العلمية التى حققتها شركة الاصباغ الالمانية . وهى الشركة التى سبق لها ان استعملت الانيلين بدلا من النيل الهندى . وقتلت هذه الزراعة فى الهند . . . فهل هذا الاختراع الجديد يقتل زراعة أخرى يمكن القارىء أن يحدسها ؟



هذه الريح العابثة ..

بين الشاعرين جورج رسل، ومحمد الهمشري

بقلم الدكتور ابراهيم رشاد بك

عدت من أوربا عام ١٩٢٠ ، بعد غيبة عن الوطن استغرقت خمسة عشر عاما ، قضيت أكثرها في انجلترا وارلندا ، دارسا باحثا في مختلف الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، متغلغلا في مختلف الأوساط ، متنقلا بين الجامعات ومعاهد الأبحاث والمصانع والمزارع والبيوت والملاهي ، مسوقا في كل هذه الأدوار والطوفات ، إلى إعداد نفسي لعمل كبير لم أكن أدري ماهو على التحقيق.

وجمعتني الأقدار السعيدة برجل كنت أشعر بالحنين الى معرفة أمثاله ، وكان لقائي معه أحسن ختام لهذا الطواف الطويل ، الذي ألممت فيه بأوربا من جميع أطرافها فلم تفتني ألمانيا ولا ايطاليا ولافرنسا ولاسواها من الممالك ذات العلم والمدنية والجد والدأب .

أما هذا الرجل الذي أسعدتني بمعرفته الأقدار ، والذي قام بيني وبينه ارتياح نفساني متبادل ، وتوافق كامل في المزاج وفي الروح وفي الادراك ، وفي النشأة والتربية والتعليم والميول والامال ، فهو هورس بلانكت أحد كبار أبطال ارلندا في ميدان الاقتصاد الزراعي

عمل هورس بلانكت نصف قرن في سبيل المدنيه الريفية في ارلندا ، وكان رسول هذه المدنية ، الموفق في رسالته ، الناجح في دعوته .

ولقد بدأ عمله وامور بلاده على غير نظام ، فاستخدم ذكاءه وبصيرته النافذة في تقسيم العمل الى نواح مختلفة : زراعية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وجعل الأولى للحكومة ، والثانية للفلاح ، والثالثة للمرأة ، ووضع قاعدته المشهورة الثلاثية الأركان :

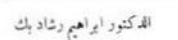
تحسين الزراعة ... ...

تيسير التعامل ... ...

ترغيد الحياة ... ...

واختار السير هوراس بلانكت مكانه بجانب الفلاح لخدمة الناحية الثانية وهي «تيسير التعامل» وتزعم حركة اقتصادية زراعية واسعة النطاق تحقق هذا الغرض الجليل وهي «الحركة التعاونية الزراعية» ولقد كرس لها جهوده وسخر لها قواه، فلم يبرح الدنيا الا وقد شهد نجاحها بعينيه، وخلفها حركة قومية شاملة مستتبة الأركان محكمة النظام، تؤدي للفلاح الارلندي خدمات جليلة في مختلف ميادين الانتاج والاقراض والتوريد والتصريف، بجمعياتها المنتشرة في أنحاء المملكة، والتي أعجب بانتاجها ونشاطها العالم كله واتخذها مثلا عاليا لتنظيم المزارعين تنظيما اقتصاديا يعود عليهم بأكبر النفع

ولقد كان من أوائل ما أهتم به زعيم التعاون في ارلندا، اختيار الرجال الذين يحملون معه عبء هذه الرسالة، اعتقادا منه بأنه على قدر توفيقه في كسب ذوي المواهب العالية والشخصيات القوية والنفوس المخلصة، يكون نجاحه في مهمته القومية الكبرى.


الدكتور ابراهيم رشاد بك

ولقد كان من توفيق الله له والتعاون أن نجح في كسب الشاعر الكبير جورج رسل صاحب الشخصية البارزة والصيت البعيد، والاسم الذي ملأ أسماع الناس جميعا في ارلندا وتعداها الى ماوراء البحار، في أوروبا وأمريكا واستراليا وسائر بقاع العالم المتحضر.

لم يمض على رسل وقت طويل فى صلته بالزعيم التعاونى ، حتى عرف مكانه من الحركة التعاونية ، وحمل عبء الناحية الأدبية فقام بتحرير مجلة التعاون ، التى أطلق عليها he Irish Homestead أو « الحوار الارلندى »

ومنذ ظهر عددها الأول حاملا اسم جورج رسل تهافت عليها الناس وأخذت مكان الصدارة بين المجلات الارلندية ، وأصبح القراء فى الريف بل وفى الحضر ينتظرونها بلهف شديد ، لما أسبغ عليها رسل من ألوان محبوبة ، فمن افتتاحيات رائعة فى مختلف الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، بأسلوب ممتع واضح موجز يقرب الموضوعات المادية الى أذهان الريفيين ، مع سمو وجمال فى العبارة لايتفقان الا لأمثاله من الموهوبين ، نقول : من افتتاحيات رائعة الى مقطوعات شعرية بديعة تصور جمال الريف وإلهامه ، وسحر القرية وروعة مناظرها الى عرض لما ينشر فى شتى الكتب الانجليزية فى مختلف الموضوعات ، وهكذا بلغت مجلة التعاون على يدى رسل ، أعلى مبلغ فى طلاوة الأسلوب وطرافة الموضوعات وتنوعها وقيمتها ، وحسن التوفيق بين الحقائق وبين الخيال . وصارت مما لايستغنى عنه اقتصادى ولا اجتماعى ولا فلاح ولا أديب ، لافى ارلندا وحدها بل فى انحاء العالم ، وصار بينها وبين قرائها اتصال روحى قوى ، وصارت لهم فيها ابحاث و كتب ،فتوحة ومباحثات تتبارى فيها العقول والأقلام .

كذلك كان لرسل ومجلته ودواوين شعره وأحاديثه الطلية واجتماعاته ومحاضراته الفضل الكبير فى توجيه الناس نحو المذهب الجديد وهو نشر المدنية فى ربوع الريف وعدم استئثار المدن بها ، إذ كان يرى فى هذا الاستئثار حرمانا للسواد الأعظم من بنى الانسان ، من أخص منافع الحياة كما أن فيه إضرارا بالبلاد من جراء ترك الجزء الاكبر من ثروتها الفعلية والمعنوية مهملا لاتناله تنمية ولاتحسين .

ولقد انتهى تفكيره الطويل إلى أن النظام التعاونى هو خير الوسائل إلى تحقيق هذا المذهب الاصلاحى . فنصب نفسه داعية إليه ومبشرا به واستخدم كل جهوده فى نشر الجمعيات التعاونية فى أرجاء البلاد والوصول بها إلى أعلى مستوى ممكن . كى توفر لأعضائها أسخى مايستطاع من نفع مادى . ومن خدمات فى ميادين البيع والشراء والانتاج والتمويل . ليزداد دخلهم وتقل نفقاتهم .

ومازال يقنع التعاونيين بأن جمعياتهم مهما نجحت ماديا ، فهى ضئيلة الأثر إذا لم تحقق لأعضائها حياة اجتماعية راقية ، وظل ينير لهم الطريق إلى هذه الغاية المثلى . ولو قارنا حالة هذه الجمعيات وإنتاجها قبل دعوة رسل وبعدها لرأينا صورتين متباينتين . فى الأولى ضعف وركود . وفى الثانية قرى لا يعيش فيها المرابى ولا التاجر الطماع . ولا فقر يغشاها بل الكل فى رغد وفى نظام وفى اطمئنان . تنظم لهم الجمعية التعاونية معاملاتهم وتقضى حاجاتهم . وتحدث التوازن المالى بين المزارعين . فلا يكون بعضهم فى حاجة وإقتار . بينما البعض الآخر فى وفرة ويسار . وتسهل لهم اقتناء أحدث الآلات الزراعيـة واستعمال أمثل الطرق العصرية فى الزراعة ومايتصل بها من اقتصاديات واجتماعيـات ، وتظلهم جميعا بلواء الوفاق والسلام . وتبث فيهم روح الديمقراطية . واحترام الحقوق والتزام الواجبات وتعودهم على توفير أسباب الرفاهية لقريتهم . كالنظافة والإنارة وتعبيد الطرق . وتحسين الصحة العامة ونشر التعليم والتثقيف وإيجاد أدوات التسلية وتكوين حلقة اتصال محكمة بينها وبين السلطات العليا من مركزية ومحلية حتى لا تتوانى هذه السلطات عن القيام بنصيبها من ترغيد الحياة فى الريف .

« ٥ »

أخذنا نحن فى مصر كثيرا عن ارلندا فى عملنا التعاونى . وناديناً بما نادى به رسل من العمل «على نشر المدنية الريفية» وبشرنا به فى خطبنا وفى أحاديثنا وما نؤلف من كتب ونحرر من مجلات وجددنا فى تعميم هذه الدعوى وإلقائها فى الآذان .

وفى يوم من عام ١٩٣٤ دخل على فى مكتبى فتى فى ربيع العمر . قوى الجسم مشرق الطلعة ، مكتمل الصحة . وافر الرجولة . تبدو عليه الشجاعة والثقة بالنفس والتطلع إلى كبار الآمال . وتظهر فى حديثه الفصاحة والجرأة ممتزجتين بالأدب والرزانة . وقدم إلى نفسه مفهما إياى أنه دائم التتبع لما أكتبه عن الحركة التعاونية وعن المدنية الريفية . وأنه مستوعب أفكارنا . مؤمن بقضيتنا . راغب فى المساهمة فى خدمتها .

ولم يكن هذا الشاب إلا كما تبادر إلى ذهنى أول مارأيته وسمعته وتأملته . لم يكن إلا الشاعر المجيد م . ع الهمشرى ، صاحب قصيدة «شاطىء الأعراف» ومعرب «القرية المهجورة» وكأنما عثرت به على كنز ثمين ، ومضت الأيام والأسابيع ومعنا هذا المبشر التعاونى الجديد ،

يعمل فى تحرير مجلة التعاون ، وإذا بى أجد فى « الهمشرى » ما وجد بلانكت فى رسل ، من إيمان صادق بالتعاون ورسالته ، ومن بيان ساحر ومن نشاط عظيم .

فهو فى وقت قصير عرف مكانه من الحركة التعاونية كما عرفه رسل من قبل . وسرنى أنى رأيت الشبيه ملما بأخبار شبيهه ، وأن بينهما توافقا عجيبا فى الجسم والروح والنشأة وفى مراحل الشباب الأولى ، وأنا الخبير بالشابين ؛ فقد حدثنى كل من الشاعرين عن نفسه وعن نبعته بما هو فوق الكفاية .

وكأن العناية الالهية بعثت الهمشرى رسولا للمدنية الريفية فى مصر ، وخليفة لجورج رسل ، مع فارق واحد هو أن رسل انفسح له المجال فعمل لخدمة التعاون أربعين عاما ، أما الهمشرى فلم تمهله الاقدار فى عمله التعاونى إلا أربعة أعوام .

وإنى لتارك للشعراء والأدباء أمر المقارنة بين شعر الشاعرين . وديوان رسل بين أيديهم ، وموعدهم بديوان الهمشرى قريب إن شاء الله .

أما فيما عدا الشعر من مزايا الرجلين فالتشابه محكم ، وعلى الأخص فى المقدرة الصحفية وفى الدراية بكنه التعاون والإيمان بمذهب المدنية الريفية ، وحب الريف والرغبة فى زيارته وفى الاتصال المستمر به واستمداد المعانى الشعرية من جمال مناظره وسحر الطبيعة فى مائه وسمائه ، وأشجاره وأزهاره ، ودواجنه وأطياره ، هذا إلى ما فيه من هدوء ووداعة ومفاتن ومباهج ، ولقد كان يبدع فى وصفها فى باب « زيارات الحرر » عن الجمعيات التى يزورها ، فيجيد وصف ما رأى وما سمع ، ويظهر محاسن الجمعيات ويبين أغلاطها ومواضع النقص فى عملها ونظامها ، ويسدى النصح الرفيق السديد ، بعيدا فى كل هذا عن جفاف التقريرات الرسمية والاحصاءات الديوانية . مشجعـا لا مثبطا . مبرزا فى الادب وإن قسا فى النقد وقد فتح فى المجلة أبواب : « الادب التعاونى » « والاغانى الريفية » و « الثقافة التعاونية » فأضفى عليها ثوبا قشيبا ، وأجدى هذا التجديد فى تحبيب المجلة إلى أعضاء الجمعيات التعاونية ، إذ انقلبت من مجلة رسمية إلى صحيفة حافلة ، ففيها التعاون ، وفيها الاقتصاد ، وفيها الزراعة وفيها الثقافة ، وفيها كذلك ما شاء الأديب المتبحر من شعر رائق ونثر بليـغ ، وما شاء القارىء الباحث أو الراغب فى التسلية من موضوعات شتى ، مقرونة بالصور الشمسية ، ومن أخبار تعاونية

تمس مصر والممالك الاخرى ، وهى بعد هذا وذاك ، مجلة شعبية حكومية معا .

وكان الجانب الأكبر من مجهود الهمشرى فى شعره ونثره موجها الى التنبيه الى جمال الريف وضرورة العناية به ، إذ فيه الثروة وفيه المتاع ، وفى تقويته ماديا ومعنويا تقوية للأمة كلها .

وكان من الأوتار الحساسة التى ضرب عليها ، بث النزعة الديموقراطيـة فى أهل الريف ، عن طريق جمعياتهم التعاونية ، فى أساليب إدارتها ، وفى تساوى أصوات أعضائها . وفى دوام التشاور بين هيئاتها العديدة من مجلس إدارة الى لجنة مراقبة الى جمعية عمومية ، كل المبادىء الاساسية للشورى وفى هذا كله تعويد لهم على تأدية واجباتهم والتمسك بحقوقهم والعمل المشترك فى سبيل اسعاد الجميع، وكثيرا ما كتب فى شرح هذا المعنى الرائع وهو أن الريف « مثل الامة »

هذه أبواب نافعة طرقها الهمشرى كما طرقها رجال من قبل ، ولو أراد الله لشاعرنا بسطة فى العمر لردد الريف من شمال مصر الى جنوبها تلك الأغانى المدنية التى كان ينظمها ، ولسادت فى سكان هذه الربوع الآمنة تلك الروح المحمودة التى كان يعمل لبثها فيهم ، ولاكتملت لنا فى الميدان التعاونى ثروة أدبية نعتز بها ، ولظل اسم الشاعر الريفى « الهمشرى » مسطورا على قلوب الملايين من أهل وادى النيل ، ولبدأت يد البشر تعمل مع يد القدر فى اسعاد الريف وتحبيبه الى من لم يدرك جماله ومزاياه ، فلا يرحل عنه اصحابه الى المدينة ، ولا يهجره أهل الثراء والعلم والثقافة والأدب ، خلوه من المباهج كما هى حاله الآن .

لقد كانت فجيعتنا فى الهمشرى قاسية أليمة ، خصوصا ولم نستفد من ادبه وإنتاجه كل ما كنا نطمع فى أن نناله ، ولم تكسب التعاون إلا نزرا يسيرا مما امتلأت به يداه ولم يمهل هذا الجندى التعاونى الباسل إلا هذه الأعوام الاربعة التى قضاها مواظبا على الجهاد ثابتا فى الميدان ، بينما سعدت إرلندا بشاعرها التعاونى أربعين عاما من الزمان .

رحمه الله ، وجعل لاهله والتعاون وللأدب فيه خير عوض وأحسن عزاء .

صحة الفلاح

محاضرة الدكتور احمد ثابت مواق في المؤتمر الصحي الثاني بقاعة يورت التذكارية في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٩

عند ما تفضلت لجنة تنظيم هذا المؤتمر . فأسندت الى موضوع البحث فى صحة الفلاح . تولانى شعور غريب . لم أعرف على وجه الدقة أهو الى الرغبة قريب . أم الى الرهبة أقرب . ولكنى أعرف أنه كان مزيجا من الرغبة والرهبة . ولهاتين العاطفتين على تنافرهما ولع بالتقارب . كلما هم المرء بتناول المسائل القومية الهامة بالبحث والدراسة . فإن أمر الصالح العام من شأنه الاغراء بالعمل . أو على الأقل بمحاولة العمل . كما أن من طبيعة مشاكله الكبرى . أن تبعث بالرهبة فى نفوس الباحثين . بسبب ضخامة الموضوع . والخوف من القصور عن بلوغ الغاية فيه .

وفى لجة هذا الشعور الغريب . أتساءل عن غرض اللجنة الموقرة من قرارها وعلى أى وضع تريد أن أتناول البحث فى صحة الفلاح . أمن الناحية الطبية الخالصة باعتبارى طبيبا . أم من الناحية العامة . باعتبارى ممن درسوا قضية الفلاح . من نواحيها المتعددة ؟

وهكذا أضاف هذا التساؤل الى شعورى السابق حيرة جديدة . أرجو أن تشفع لى عندكم . إذا ما تركت أثرها فى هذا البحث . وها أنتم ترون انه لم يكن لى منها مفر .

على أنى قد رأيت الخير . فى أن أمسك بالعصا من طرفيها . راجيا أن يكون هذا ممكنا . وأن أحاول تحليل الموضوع . من الناحية الطبية أولا . ثم أنتهى الى معالجته : من نواحيه المختلفة آخرا . وإن كنت فى الأول والآخر . لن آتى بجديد على أسماعكم . ولن أضيف طريفا على سابق معلوماتكم والذنب فى هـــذا ليس ذنبى . فقد أمرت لجنة المؤتمر فصدعت بالأمر . وأرادت أن أتولى المكلمة فى هذا الموضوع . فنفذت لها ما أرادت .

فأما كلمتى كطبيب عن صحة الفلاح . فيؤلمنى أن أقول لكم . انى لا أجدها . وما كان لطبيب رقيق . أن يجد كلمة يقولها فى هذا المقام . فإن صحة الفلاح فى نظرى أمل من الآمال . قرينه الوعود والأقوال . وحلم من الأحلام . ضنت بتحقيقه الجهود والاعمال .

أما اذا أردتم كلمة عن أمراض الفلاح . فستسمعون كلمات لا نهاية لها . وتجدون أن لسان الطبيب . تسبقه ألسنة المرضى . فى أبلغ عبارة . وأقوى بيان . ولن تأخذكم من هذا البيان طلاوته وحلاوته . بقدر ما تنال منكم حسرته وأناته . فلست أستطيع أن أتخيل . حديثا أشد ايلاما وفجيعة من حديث يتناول أمراض الفلاح . ولست بقادر على أن أجد تعليلا مقبولا . لما تقابل به هذه الصيحات المدوية . من تحجر فى قلوب المستمعين . الا أن تكون الانسانية . قد فقدت أخص مميزاتها . فى هذه البلاد وانى لاقسم غير حانث . أن بعض هذه الصيحات . لو وصل الى مسامع أمة متمدينة غريبة عنا . لدفعها الى اسعافنا بالبعوث الطبية . بمجرد العطف من الانسان على اخيه الانسان

يعيش الفلاح فى بيئة تعتبر مرعى خصيبا لمخالب الميكروبات والطفيليات . فهو فى مسكنه وفى حقله . معرض لشتى الامراض . وقد انعدمت فى كل من المسكن والحقل . وسائل الوقاية . فلا مفر له من الوقوع بين مخالب المرض وهو اذا ما وقع . لم يجد فى متناوله من وسائل العلاج . مايدفع عنه غائلة المرض . ولا من وسائل الوقاية . مايق أهله ومخالطيه . شر العدوى . فيستشرى الداء وتسرى العلة فيمن حوله . ويتسع الخرق على الراقعين .

ولبت البلوى وقفت بالفلاح . عند حد التعرض . على أوسع مقياس . لما تتعرض له سائر الطبقات الأخرى من الأمراض . ولكنها امتدت . فخصته بطائفة من الامراض المتوطنة . بسبب عمله فى الحقل . واتصاله الدائم بالماء الملوث . فزادت الطين بلة . وكانت ضغثا على ابالة .

فالى جانب مايصيبه . من نزلات صدرية ومعوية . وحميات مختلفة شديدة العدوى . فتكت البلهارسيا . والانكلستوما . والدوسنطاريا . والبلاجرا بما لا يقل عن ٧٥ فى المائة من مجموع كتلته فأنهكت جسمه . وأضعفت قواه . وحدت من قدرته على العمل والجهاد فى سبيل القوت المتواضع

ولما كان الفلاح يمثل الخلية التى يتكون منها جسم الامة المصرية .

إنحط بانحطاطه المجموع . وساءت الحالة الاقتصادية . وانخفض مستوى ثروة الفرد . وقل انتاجه .

ولقد بذلت الدولة جهودا تذكر فى سبيل علاجه من هذه الأمراض المتوطنة . ولكنها لم تأت بالنتيجة المرجوة . اذ ثبت أنه ما كاد يشفى . حتى يعاوده المرض . بمجرد عودته للعمل . واتصاله بحكم الضرورة بالماء الملوث . . . وأصبحت المنشآت العلاجية . كحلقة مفرغة . لا يعرف أين طرفاها . كعجلة تدور حول نفسها . دون أن تتقدم . .

وأود لهذه المناسبة . أن أتناول بالذكر . مسألة تعميم الميـــاه الصالحة للشرب فى القرى لاضعها فى المستوى اللائق بها . فقد خيل للكثيرين فى بادىء الامر . أن تعميم هذه المياه الصالحة للشرب . فيه الانقاذ من مرض البلهارسيا . الذى يفتك بالأغلبية الساحقة من الفلاحين . . وفات هؤلاء . أن عدوى البلهارسيا . إنما تصيب الجسم عن طريق المسام الجلدية فى ٩٠ فى المائة من الحالات وأن العشرة الباقية . تصاب بها عن طريق الشرب . ومادام هذا هو الرأى العلمى . الذى لا شك فيه . فالمنتظر إذن . أن لا تهبط نسبة العدوى بالبلهارسيا بعد تعميم الميـــاه سوى ١٠ فى المائة على الأكثر . وأن يظل الباقون عرضة لها . مادامت أعمالهم الزراعية . تقتضى لمس أيديهم وأرجلهم للماء الملوث فى الحقول .

ولن يتقدم من شرها . الا القضاء عليها . والقضاء على القواقع الناقلة لها فى مجرى المياه . وهو عمل نرجو أن توفق إليه الأبحاث العلمية فى المستقبل القريب . .

وحاشا أن أرمى من وراء هذا البيان . إلى الانتقاص من قيمة هذه المنشآت العلاجية . أو مشروع تعميم المياه الصالحة للشرب . ولكنى أريد أن ألفت النظر . إلى الهدف الاساسى الذى يجب الوصول إليه . وهو استئصال هذه الأمراض . وإنقاذ الفلاح من ويلاتها . وقد يكون هذا الهدف بعيدا فى الوقت الحاضر . ولكن الواجب يقضى علينا . بالعمل على بلوغه . بتشجيع الابحاث الفنية فى هذا السبيل والسخاء المادى والأدبى . على كل معهد مصرى أو أجنبى . يقف جهوده على هذه الأبحاث : وحبذا . لو جعل هذا العمل الجليل . أساسا يقوم عليه المعهد العلمى الجديد . الذى تقرر انشاؤه تخليدا لذكرى المغفور له « الملك فؤاد الاول » رحمه الله

* *

تلك هى كلمتى كطبيب . فى صحة الفلاح . أو بعبارة أخرى . فى أمراض الفلاح . وهى طرف من

من أطراف العصا كما قلت . ولكن بقى على أن أحاول الوصول الى الطرف الآخر . فإن وفقت فى تلك المحاولة . كنت قد قمت بواجبى كاملا . على قدر ما استطيع . ولهذا . أرجو أن أتحلل من الوضع الطبى الصرف الى الوضع الطبى الاجتماعى . فهو فى نظرى بيت الداء . وفى معالجته قد يكون الشفاء .

وسأتخذ فى هذا الوضع من البحث . قاعدتين أساسيتين . أولاها . « الوقاية خير من العلاج » والثانية . اذا أردت العلاج فابحث عن أسباب الداء . .

وعلى ضوء هاتين القاعدتين . يثبت البحث أن حالة الفلاح الحاضرة مصدرها علل ثلاث . هى الفقر . والجهل . والمرض . وقد تكون إحدى هذه العلل سببا لغيرها . كما قد تكون نتيجة لها . ولكن الذى لا شك فيه أن كلا منها . يأخذ بنصيب كبير . فى مظهر البؤس والشقاء المخيم على الفلاح وعلى ريف مصر جميعا . .

ولقد تناول البحث فى كل من هذه العلل كثيرون . ممن عنوا بشئون الفلاح . وكان لكل رأيه . فمنهم من تناول الشئون الصحية . ووضع من البرامج ما ظنه كفيلا بمحاربة المرض . ومنهم من تناول الناحية الثقافية وأدلى بمقترحاته وخططه فى محاربة الجهل . ومنهم من درس الناحية الاقتصادية ليجد الوسيلة لمحاربة الفاقة والفقر . .

ويبقى أنهم كانوا جميعا على صواب . إلا فى تناولهم الموضوع . كل من ناحيته الخاصة . دون أن يحل النواحى الاخرى محلها من التقدير والاعتبار . .

ولأضرب لذلك مثلا . هبوا أننا استطعنا رفع مستوى الفلاح الثقافى . وتركناه . من الناحية الاقتصادية على حاله . من فقر وفاقه . أو بعبارة أخرى . جعلنا منه فقيرا متعلما . فهل يدهشه فى هذه الحالة أن تنشأ فيه نزعة اجتماعية خطيرة . لا يعلم الا الله ما يكون لها من الآثار . . أوهبوا على العكس أننا استطعنا إنقاذه من وهدة الفقر . وأسبغنا عليه نعمة الرخاء . ولم نخرجه من ظلمات الجهل . فهل يبعد أن نراه مسرفا . متلافا . يترفع عن العمل فى الحقل . ليرتاد المدن . ويستمتع بما يجد أنه محروم منه فى القرى . وأخيرا . هل يمكن للفلاح فقير جاهل . أن يدرك قيمة النظم الصحية أو يستسيغ الدعاية لها . وهو لا يملك الوسائل . التى تمكنه من السير على مقتضاها . وهل تتسع مداركه الحالية . للايمان بوجود الميكروبات والطفيليات . وانتقال العدوى وجدوى المبادرة

بعلاج الأمراض . عند بدء ظهورها . وعدم الأذعان لشعوذة المشعوذين . ورفض العمل بنصائح الحلاقين والدجالين ؟ وهل تقوم موارده الحالية بمطالب العلاج الفني . في سهولة ويسر .. أو تمكنه من اختيار المأكل . والملبس . والمسكن . بحيث يجد شيئاً من الوقاية . يعصمه من أخطار المرض؟ على هذا كله . لايحتاج إلى عناء كبير . وإن من يطلب من أظن أن الجواب الفلاح . أن يعني بصحته يكون كمن ..

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

• • •

أردت من هذه التبسط في الفروض المتنوعة أن أتطرق هنا الى الحل المنطق العملي لمشاكل الفلاح . تلك المشاكل التي لاانفصام لها . والتي يرتبط بعضها ببعض . ولايمكن حلها مشكلة فمشكلة بل يجب أن توجه معاً . وأن تبحث معاً . باعتبارها وحدة لاتتجزأ ...

ولست أستطيع أن أزعم أن علاج هذه المشاكل سهل . أو أن النجاح فيه يمكن أن يكون سريعاً . فإن السهولة والسرعة . أمران لاسبيل إليهما في عمل ضخم كهذا . واذا كان من واجبنا . أن نتغلب على الصعوبات .. بمختلف الوسائل . فأني أعتقد . أنه ليس من المرغوب فيه . أن نبالغ في الاسراع . فإن الطفرة قد تعقب أسوأ النتائج . ويكفي أن نجد في السير . من غير أن نبلغ حد العدو والجري . فإن أضمن خطوات الأصلاح الأجتماعي . ماكان منها متئداً ومطرداً الى الأمام . وخير الطرق في نظري . هو . أن يشكل مجلس أعلى . لرفع مستوى الفلاح والريف من النواحي الثقافية . والأقتصادية . والصحية جميعاً

على أن يضم هذا المجلس رجالاً مبرزين . في النواحي الثلاث . فيضع لمهمته برنامجاً شاملاً . يرقى بالفلاح والريف . الى المستوى المنشود . ثم يقسم هذا البرنامج . إلى مراحل . تقطع كل مرحلة منها . في زمن معين . وتتم بها خطوة معينة . ويحتفظ بالتوازن المطلوب . وبين النواحي الثلاث . بحيث . لا تسبق ناحية منها زميلتها . على أن يبقى المجلس مشرفاً على تنفيذ برنامجه متتبعاً لمراحله المتوالية . وبهذه الطريقة وحدها يمكن ضمان التقدم المتسق . المأمون العواقب .

ولا غنى لي عن الأشارة الى بعض الحقائق . التي تتصل بالتعليم الألزامي . والشك الكبير الذي

يتناول فائدته على وضعه الحاضر وبرامجه الحالية . وليس من شأن هذه المحاضرة أن تتوسع فى نقده ، وكيفية تعديله . ولكن من واجبها أن تلفت النظر إلى أن الغرض من التعليم . فى بيئة الفلاح . هو توسيع المدارك والمعارف المتصلة بالشئون الزراعية . مع مراعاة الناحية العملية . التى تربطه الى عمله الزراعى . برباط وثيق . وبقدر مايكون التعليم فى هذه البيئة . مبسطا وعمليا . تكون ثمرته دانية ودائمة . فماذا يفيد الفلاح من دراسة التاريخ والجغرافيا وما اليهما وما الذى يربط بين هذه الدراسة . وحياته المستقبلة . بين الماشية . والمزارع

• • •

يتشكك الكثيرون . فى استطاعة العمل على رفع مستوى الفلاح من الناحية الأقتصادية . ولهؤلاء المتشككين بعض العذر . فأنه ليس من السهل على الدولة . وطبقة كبار الملاك . أن يعملوا على ترغيد الحياة . فى طبقة الفلاحين لأن الأغنياء . بالنسبة للفقراء . فى بلادنا . أقلية صغيرة يشق عليها . أن تقوم بهذا الواجب . لاكثرية هائلة . ولكنى أعتقد أن المجال فيه متسع للعمل المنتج وإنى لأتساءل . فى هذا الصدد . عما اذا كان من المفيد . أن تأخذ العلاقة بين المالك والمستأجر . شكلا آخر ... غير شكلها الحاضر . يكون أقرب الى العدالة والأنصاف . كأن تقوم العلاقة بينهما . على أساس اقتسام غلة الأرض . بنسبة منصفة للفلاح وأن يزول نظام الأيجار النقدى . فيما يتصل بصغار المستأجرين الذين يعملون بأيديهم فى الزراعة ..

كذلك أتساءل . عما اذا كانت المصلحة أصبحت تقضى بوضع حد أدنى لاجور العمال الزراعيين . الذين يشتغلون باليومية . مع العلم بأن أسعدهم حظا . وأكثرهم توفيقا . لا يشتغل فى العام إلا نصف أيامه بواقع ثلاثة قروش فى اليوم . أى بما لا يتجاوز خمسة جنيهات ونصف جنيه فى العام الكامل . أو خمسة وأربعين قرشا فى الشهر . ثم يطلب اليه مع ذلك أن يحيا حياة صحية فى مأكله ومشربه ومسكنه

ولعلكم تتساءلون معى . كيف يستطيع هذا المخلوق التعس أن يعيش هو وعائلته . على هذا الإيراد الضئيل .. وكيف يمكنه فى حدود هذا المبلغ الزهيد . أن يرتفع بنفسه وبأفراد أسرته . عن مستوى « الماشية التى يرعاها »

واذ كان العامل الزراعى . خليقا بالعطف والرعاية فى أجره . أفلا يكون زميله . صاحب

الملكية الصغيرة . خليقا بالأعفاء الكلى أو الجزئى من الضرائب . ؟ وهلا يجب أن يكون البحث فى هـذا الأعفاء فى أثناء هذه الدورة (التى سيعرض فيها قانون ضرائب الأطيان على البرلمان)

وأرجو أن أختم تساؤلى . بالاستفهام عما وصلت اليه الجهود فى تخفيض مصاريف الانتاج الزراعى بوجه عام . حتى تخف أعباؤها على نحو . يجعل غلة الأرض . متناسبة مع قيمة الأطيان فى الوقت الحاضر ما دامت أسعار الحاصلات كما نرى . لا تخضع الا لقانون عرض والطلب وما دام رفعها بالطرق الصناعية . أمرا غير مرغوب فيه . لما ينتهى اليه من سىء النتائج ...

• • •

أرجو أن تغفروا لهذه المحاضرة انسياقها الى شئون الثقافة والاقتصاد وعدم تقيدها بحرفية العنوان « صحة الفلاح » . قد سبق لى أن اعتذرت من هذا الأنسياق . بحكم الواقع . وارتباط صحة الفلاح بحالته الثقافية والاقتصادية . واعتقادى أن رفع مستواه الصحى . متوقف على رفع مستواه الثقافى والاقتصادى ...

وأملى عظيم فى أن تكون مرحلة الكلام والبحث فى قضية الفلاح قد انتهت لتبدأ مرحلة عملية تعود بأطيب النتائج . على هذا الوطن كله .

فأن مسألة الفلاح . مسألة الوطن بأجمعه . وفى علاجها . علاج لما يوصم به هذا البلد من تفشى الجهالة والأمية والفقر والمرض . ولا أظننى فى حاجة إلى أن أشير إلى ما يربط بين صحة الفلاح وشئون الدفاع القومى . فأن فى رفع مستوى الفلاح رفعا لمستوى الجيش . فى عدد الصالحين للتجنيد من ناحية ونوعهم من الناحية الأخرى . ولا يخفى أن الحروب الحديثة تتطلب هذا وذاك ..

وإنى لأرجو أن يذكر كل مشتغل بالشئون العامة . ما أخذ به نفسه أمام مواطنيه . من وعود وعهود . فما من نائب ولا شيخ . وما من حزب أو حكومة الا واتخذ من قضية الفلاح سلما . وصل به الى موضعه من الأشراف والرقابة على شئون الدولة . وجميعهم أمام الله وأمام الوطن مسئول عن الفلاح . قبل أن يكون مسئولا عن سواه ..

ان المتسولين والمتشردين . وهم طائفة تعتبر عالة على الهيئة الاجتماعية فى مصر . قد وجدوا من يعنى بشأنهم ويهتم بأمرهم . ولا أكون مبالغا اذا قلت ان الفلاح أسوأ من هؤلاء حالا . وأشد بؤسا .

مع أنه يقوم بعمله المشروع الشاق لخير هذا الوطن . ومما لا يتفق مع المنطق أن يعنى بأمر هؤلاء وأن يهمل أمره . .

بل إن نزلاء السجون فى هذه البلاد . يجدون من المأكل والملبس والعناية الصحية . مالا يجد الفلاح شيئا منه . الا فى القليل النادر . .

وقد طال به الاستماع الى الوعود والأقوال المتكررة فى الخطب الانتخابية والمناقشات البرلمانية والعهود المقطوعة فى كل خطبة من خطب العرش . كما طال به انتظار العمل . فلم يجز منه بكثير بشكر أو قليل بذكر .

وإن أشد ما يخيفنى . أن يبعث هـذا الاهمال المزمن فى نفس الفلاح نزعة القلق . بعد الذى عرف عنه وأطمع القوم فيه من صبر وقوة احتمال . وليكن فى حسابنا جميعا أن الفلاح اذا تحرك للمطالبة بحقه فى الحيـاة . فانه لن يكتفى بالقليل الذى نستطيعه الآن . وان يقنع بما يدخل فى مقدورنا فى الوقت الحاضر . ولـكنه سوف يطمع فى الكثير الذى لاطاقة لنا به

ان السياسة الرشيـدة حقا هى التى تعنى قبل كل شىء بشئون الأغلبية الساحقة من الشعب . والتى ترسم خططهـا . للمستقبل القريب . والمستقبل البعيـد على السواء . ولا تنتظر قيام الأزمات لتتولاها بالعلاج . بل تعمل على تلافيها وعدم ظهورها . وهى أولا وآخرا . العمل الصالح . فى سبيل الله وفى سبيل الوطن



فاشية !.



ايطاليا كما صارت على يد موسوليني

حديث للمستر تشرشل

عن الديمقراطية والحرب

تحدث المستر كنجزلي مارتن رئيس التحرير لمجلة نيوستيتسمان الى المستر تشرشل السياسى الانجليزى المعروف عن الديمقراطية والفاشية . فرأينا أن نلخص هذا الحديث لقيمته فى التنازع القائم فى الآراء السياسية

قال المحرر : لقد أصبح جمهور الأمة يجمع بين شخصيتك وبين الدعوة الى الاستعداد الحربى للدفاع عن الديمقراطية وكثيرا ما يسألنى القراء هل يمكن الدولة الديمقراطية ان تستعد للحرب، فى على قدم المساواة مع الدول الديكتاتورية ثم تحتفظ فى الوقت نفسه بسجاياها الديمقراطية ؟ فهل تعتقد أن الجمع بين الحرية الديمقراطية وبين الكفاءة الحربية ممكن ؟

فقال المستر تشرشل : ان المظهر الاصلى للديمقراطية هو الحرية يمارسها الفرد فى حدود القوانين التى يفرضها البرلمان حتى يعيش العيش الذى يريد . وهو المحاكم تصدر أحكامها دون أى تدخل من السلطة التنفيذية . وهذا النظام قائم على وثائق تاريخية كسبها الشعب فى القرون الماضية . وفوق ذلك يكفل هذا النظام حماية الفرد من القاء القبض عليه من أجل جرائم لم ينص عليها القانون ويكفل له فوق ذلك محاكمة محلفين يعادلونه فى المقام الى جنب القاضى . ولهم الرأى — فوق القاضى — فى اتهامه أو تبرئته . وبدون هذا الأساس لا يمكن أن تقوم حضارة أو تكفل حرية . اذ يصبح أى انسان عرضة لأن يتجسس عليه ويتهم بالخيانة حتى فى بيته . وما دامت هذه الحقوق مصونة فان أسس الحرية تبقى مصونة . ولا أرى سببا يمنع الديمقراطيات من أن تدافع عن نفسها بدون أن أن نضحى بهذه الحقوق

المحرر: يخشى الناس أن يضحى بحرية النقد على منابر الخطابة أو البرلمان أو الصحافة. فان الدول الجامعة — روسيا والمانيا وايطاليا — نظمت في معسكرات لا يعوقها انتقاد الناقدين لحكومة هؤلاء الناقدين الذين يصفهم رئيس حكومتنا بأنهم «يعيشون في عشنا»



المستر تشرشل

المستر تشرشل — انى أعرف البدعة الجديدة التى تقول بأن نقد رئيس الوزارة يعنى العبث في العش وهذا رأى خطر. لأن النقد ضرورى وان لم يكن مريئاً. وهو يؤدى للهيئة الاجتماعية ما يؤديه الألم للجسم حين يلفت النظر الى أن حالا سيئة توشك أن تفشو في بقعة منه. ويمكن أن تتفادى من الخطر اذا التفتنا له في بدايته. ولكن اذا منعنا النقد تفاقم الخطر وصار مرضاً مستعصيا

المحرر — هل تعزو البطء في الاستعدادات الحربية الى عيب أصيل في المؤسسات الديمقراطية؟

المستر تشرشل — انى واثق بان الحكومة الديمقراطية اذا تولاها زعماء كانت أقدر من الحكومات الفاشية. وفى هذه البلاد خاصة (بريطانيا) يمكن اقناع الجمهور بايسر عناء بأنه مطالب بالتضحية وهو يسارع الى التلبية اذا شرح له الموقف شرحاً نزيهاً واضحا. ويدهى أنه اذا كان أعضاء الحكومة يقولون أن كل شيء على ما يرام فانه لا ينتظر من المعارضين أن يدعوا الى زيادة التسلح ولكن مما لاشك فيه أنه كان يمكن الحكومة القومية فى مدى السنوات السبع الماضية أن تزيد التسلح بما يطابق مقتضيات الحال دون أن تجد أية مقاومة من الجمهور. ولكن الحقيقة ان الزعماء لم يدركوا حقيقة الحال ولم ينبهوا الأمة. أما النظام الديمقراطى فلم يكن قط عقبة. وعندى ان السياسى الأعشى يمكن أن تصاب به حكومة ديمقراطية كما تصاب به حكومة فاشية سواء.

المحرر — كنت أنت وزيرا فى الحرب الكبرى وملأت مناصب أخرى خطيرة فهل حدث في اختباراتك ما فهمت منه أن النقد البرلمانى يعوق سير العمل؟ وهل كان في طاقتنا أن نسير

بالحرب بأكفأ مما سرنا لو كانت لنا حكومة جامعة ؟ نسألك هل كانت من مصلحتنا أن نجند مدة الحرب العمال والممولين وتمنع المساومة الحرة بينهما ؟ وهل تعزو قلة الذخائر في بداية الحرب الى رغبة أصحاب المصانع فى زيادة أرباحهم

المستر تشرشل — ربما يمكن الحكومة الديكتاتورية ان تزيد كفاءتها فى الاستعداد الحربى اذا كان هذا يجرى بطرق سرية أكثر من الامم الديمقراطية . ولكن هذه الميزة ليست بالضرورة عظيمة والميزات الديمقراطية ترجحها رجحانا عظيما فى حرب طويلة . وفى الدول الاتوقراطية حين يأخذ الجمهور ألم الضيق ينهار نظامه ويحمل زعماءه تبعة الانهيار كما رأينا فى روسيا والمانيا ولكن الامة الديمقراطية تشعر أنها هى المسئولة فاذا كانت ترى أن قضيتها عادلة فانها تصمد للقتال أكثر من الدول الديكتاتورية . والاسئلة والمناقشات فى البرلمان لاتعوق الحرب بل تساعدها لانها تكشف عن أماكن الضعف وتزيل سوء التفاهم وكانت تعترضنا مدة الحرب بعض الصعوبات حين كنا نعالج مطالب العمال ولكن هذه الصعوبات كانت تزول حين كنا نتعاون مع النقابات ونتفاوض معها ولم أر أن رغبة الكسب عند أصحاب المصانع وقفت عائقا لصنع الذخائر . وقلة الذخائر فى أوائل الحرب انما تعزى الى سوء التقدير وقلة الخبرة فقط

المحرر — افهم الان أنك تصرح بأن بريطانيا كسبت ولم تخسر من المحافظة على مؤسساتها الديمقراطية مدة الحرب الكبرى ولكن هل أنت تعتقد أن هذه المحافظة ممكنة فى حرب قادمة ؟ وان البرلمان قادر على العمل عندئذ فى نظامه الحاضر ؟ والى أى حد تتطلب الضرورات معاملة العمال بالاجبار ومعاملة المصانع الحرة بالاشراف الحكومى

المستر تشرشل — المفروض أنه ستختلف الحرب القادمة عن الحرب الماضية من حيث أن العاصمة وقسما كبيرا من البلاد سيكونان عرضة للازعاج بالغارات الجوية ولا أرى ما يمنع من فرض رقابة أقسى من تلك الرقابة التى فرضت فى الحرب الماضية فان البرلمان قد يجد من الصعوبة بل من الخطر أن يجتمع فى دارة الحاضرة فى لندن . وقد يطلب منه أن يكل أعماله اليومية الى جملة لجان تحتوى كل منها أعضاء من الاحزاب المختلفة ثم يجتمع هو ثلاث مرات أو أربع مرات فى العام فى أماكن لائقة لكى يبحث تقارير هذه اللجان وانا أفرض بالطبع ايجاد قوانين تنفذ وتمنع التكسب من الحرب .

وقد درس الامريكيون هذا الموضوع . ويسهل علينا أن نتفع بدروسهم . وعندما أقول بمنع التكسب من الحرب أعنى أنه لايجوز لفرد أن يخرج من الحرب بثروة أكبر مما كان له عند بدايتها . ولن يجد أحد ما يشكو منه أن وجد نفسه فى نهاية الحرب كما كان فى بدايتها . ولا أظن أن هذه الحقيقة تثبط الصناعيين عن النشاط مدة الحرب وان كانت تبطئهم مدة السلم

المحرر — يمكننا الآن إزاء توقع الحرب أن نتفق على ضرورة الرضى ببعض القيود للحرية . ولكن ما هو رأيك فى التجنيد الاجبارى وفى إجبار العمال والمموّلين مدة السلم على شروط معينة للعمل . لقد قال الكبتن هارت أن قبولنا التجنيد الاجبارى لمكافحة الفاشية هو بمثابة من يقطع رأسه لكى يتجنب مرضاً .

المستر تشرشل — لا أرى سبباً يدعونا الى اضاعة أى جزء من حريتنا لاستعداداتنا الحربية للدفاع . ولا أظن اننا فى حاجة الى جيش كبير مجند على الطريقة الاجبارية كما هو متبع فى أوروبا ولكن يجب أن يكون لنا جيش نظامى قائم يمكن خلفه قوة احتياطية كبيرة . ويمكن البرلمان — اذا شاء — مدة الحرب أن يؤلف حول هذا الهيكل جيشاً كبيراً . وقد ارصدت فرنسا الديمقراطية سنتين من أعمار شبابها للخدمة العسكرية ولست أرى فى التضحية ببعض الاشهر لقسم صغير من الشعب تسليما للمبادىء الفاشية .

المحرر — ما رأيك فى الدفاع عن لندن من الغارات الجوية

المستر تشرشل — أظن اننا بدأنا قوانا وبعثرناها فى محاولة الدفاع ضد الغارات الجوية فى جميع أنحاء بريطانيا اذ يجب أن نحصر هذا الدفاع فى الاهداف والطرق المؤدية اليها ومنها فقط — فليس للعدو أية منفعة فى قتل الافراد . وانما غايته هدم الاحواض والمصانع ومبانى الحكومة وأشباه ذلك . والخطر على القرى لهذا السبب لا يؤبه به . ويجب لذلك أن نعنى بحماية العمال فى وسط لندن وفى المواني وفى المناطق الصناعية وقد يكون من المفيد أن نشق طرقاً تحت الارض فى لندن . وتكون طرقاً طويلة متعددة وتنتهى جميعها الى خارج لندن حتى يمكن الالتجاء اليها وقت الغارات بالنوم بها . وفى مدة السلم ننتفع بهذه الطرق لايواء الأتوموبيلات أو للتخفيف من حركة النقل فى الشوارع

ثم يجب اعداد السكان منذ الآن للسلوك الحسن وقت الغارة التى سوف تفاجىء فى الأيام الاولى من الحرب

المحرر — يخشى الناس كثيرا أن نواجه بحرب وعندنا أمثال أولئك القادة الذين ارتكبوا الاخطاء العظيمة فى معركة باشنديل وغيرها فى الحرب الكبرى أولئك الذين لم يحفلوا بسلامة الجنود ولم يكن الروح الديمقراطى سائدا بينهم

المستر تشرشل — يعتقد كثيرون ان الضباط يؤخذون من طبقة صغيرة . وعندى انه يجب أن يكون من الممكن لأى جندى أن يرتق الى مراتب الضباط وان نكافأ الجدارة فى الجيش بالترقية كما هو الشأن فى جميع الوظائف و ست أدعو الى هذا تحقيقا للروح الديمقراطى فقط بل لانه يؤدى الى الكفاءة الحربية

المحرر — لى سؤال آخر . وهو ان بعضنا يعتقد انه اذا نشبت حرب فان جهودنا لتحقيق النصر وكذلك لاستبقاء الاسس الديمقراطية قد لا تجدى ازاء ما يمكن أن تنتهى اليه الحرب بتدمير مواد الحضارة نفسها . وبديهى أن غايتنا الكبرى لذلك يجب أن تكون التفادى من الحرب فهل يمكن أن نعتبر هذا الاستعداد الذى نقوم به وسيلة لتجنب الحرب بدلا من الاستعداد لوقوعها المحتوم ؟

المستر تشرشل — اخشى ان اهمالنا التسلح يؤدى حتما الى الحرب . ولو اننا كنا بادرنا بالاستعداد لما كنا الآن فى هذا التسابق الى التسلح . وكان يمكننا أن نصل الى اتفاق ما مع المانيا وهى لما تكمل عدتها . ولكن حتى الآن يزيد عدد الدول التى ترغب فى صيانة السلم على عدد تلك التى ترغب فى الغارة على جيرانها . ولو استطعنا ان نجمع هذه الدول تحت راية عصبة الأمم بقيادة فرنسا وبريطانيا لكان من الممكن ان نصون السلم

المحرر — أليس مما يشهد به التاريخ أن كل تسابق الى التسلح يؤدى الى الحرب وهل تسابقنا الحاضر يشذ عن ذلك

المستر تشرشل — ان القول بأن التسابق فى التسلح يؤدى الى الحرب يشبه عندى وضع العربة أمام الجواد . فهنا حكومة لا تخشى الحرب وهى تستعد لها وتنويها . وعندئذ تشعر الاقطار المجاورة بالخطر

فنسلح هى ايضا . ثم بعد ذلك تقول أنت اننا قد شرعنا فى التسابق للتسلح . ولكن هـذا التسابق هو النتيجة لوجود حكومة تنوى تدمير الاقطار المجاورة وليس هو السبب . والحكومة التى تقصر فى هـذا التسابق تتأخر ولن تقـدر على صيانة مصالحها أو مـكانتها . وسرعة التسابق تعينها الدولة التى نوت الاعتداء . فاذا رأت هذه ان سائر العالم يستعد لها فانها يجب أن تختار بين التسليم أو متابعة التسابق . والحرب فاجعة لاحـد لها ولـكنها تثير العزة فى الامة . ونحن كثيرا ما سكتنا ولـكننا الآن فى حال أخرى ...

المحرر — هل هى حال الرغبة فى الحرب ؟

المستر تشرشل — حال من يقول : «الى هنا ونقف» فان روح المقاومة هو الذى علـم الانسان كيف يمشى منتصبا على قدميه بدلا من ان يسير على أربع

المحرر — هل تعتقد أن من الانفع لنا — كما يقول الاستاذ هولدين — أن نحصر كل جهـدنا فى الدفاع ولا نعد أية عدة للغارة على الشعوب الأخرى ؟

المستر تشرشل — لا يمـكننى أن أوافق على الرأى القائل باننا يمكننا أن نقصر استعداداتنا على الدفاع السلبي . اذ لو وثق العـدو أن فى مستطاعه أن يغير علينا دون أن يخشى غارتنا عليه لأصبحنا هدفا لغارات متوالية . ونحن نحتاج الى النفق والمـأوى نأوى اليهما ولـكن حتى بصرف النظر عن مستعمراتنا يؤدى الدفاع السلبي فى عقر دارنا الى الهزيمة المحققة . لان العدو يمـكنه فى أى وقت أن يدمر تجارتنا وصناعتنا دون أن يخشى أى خطر . وعندئذ تثار الرغبة عند كل أمة فى أن تشترك فى انتزاع شطرة من البطيخة . والحرب بشعة ولكن أبشع منها العبودية وكن واثقا بان الشعب البريطانى يؤثر الموت وهو يقاتل على أن يعيش فى العبودية .

مشاهداتي في القارة الامريكية

للمسيو هنري بير استاذ الادب الفرنسي بكلية الآداب

الاستاذ هنري بير شخصية عظيمة في عالم الادب ، محاضر بارع ومؤلف فذ . تدل ابحاثه على سعة اطلاعه وغزارة مادته .

انتدبته الحكومة الفرنسية ليشغل منصب استاذ الادب الفرنسي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول فوصل الى مصر في اكتوبر سنة ١٩٣٣ . وفي مستهل ١٩٣٤ بدأ يلقي محاضرات عامة في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية . كان الجمهور يتسابق اليها . وبقي في منصبه الى شهر يونية سنة ١٩٣٦ حين استدعته فرنسا ليكون عميدا لكلية الآداب في جامعة ليون لغاية شهر اكتوبر سنة ١٩٣٨ ثم انتدب مرة اخرى ليشغل من جديد كرسي الادب الفرنسي في كلية الآداب فأتى ثانيا الى مصر التي يحبها من كل قلبه وحيث يقدره ويحبيه كثير من عارفي فضله وادبه

ودعته جمعية اصدقاء الثقافة الفرنسية بمصر ان يتكلم عن مشاهداته في القارة الامريكية التي زارها مرارا فألقى محاضرة عن هذا الموضوع يوم الجمعة ٢٤ فبراير الماضي بقاعة الكونتنتال الخصها فيما يلي :

سافرت الى امريكا الشمالية مرتين : الاولى في صيف ١٩٣٦ والثانية في صيف ١٩٣٧ ثم زرت ارجنتينا في صيف ١٩٣٨ . ولست اريد ان اتكلم عن المشاهدات العامة في هذه البلاد ، بل عن الآثار التي تركتها في نفسي وعن المسائل التي تهمنا جميعا وتفيدنا . وكنت قد قرأت كثيرا عن هذه البلاد قبل سفري اليها . عن العادات والنظم الاجتماعية والسياسية واستفدت مما كتبه بعض المؤلفين الفرنسيين مثل جاستون روجو الذي يقول انه اكتشف ان امريكا فقيرة جدا وان فرنسا هي اغنى بلاد العالم .

وجورج دوهامل الذى يقول ان « اول من استقبله فى امريكا سيدة امريكية كانت تقود اتومبيلها بنفسها وكانت لطيفة مرحة وقد خلد اسمها فى كتابه « الحياة المستقبلة »

كنت اذن شديد الرغبة فى رؤية هذه البلاد للاستطلاع ورؤية كل ما هو غريب عنى وعن بلادى

ففى رحلتى الاولى كنت فى بعثة رسمية الى الاقاليم الجنوبية من الولايات المتحدة ووصلت الى فرجينيا وتكساس وكاليفورنيا الجنوبية ورأيت ريف هذه البلاد واقمت فيه ، لم اشعر انه غريب عنى ، او انى بعيد عن فرنسا ، اذ انه هادئ ، طبيعى ، قريب الشبه من ريف انجلترا وفرنسا . وفى ولاية تكساس على الاخص توجد بلاد مثل مقاطعة شمبانيا فى فرنسا ، ها مستقبل عظيم ولنا فيها نحن الفرنسيين ميدان عظيم للدعاية الفرنسية ولنشر الثقافة الفرنسية التى اهملناها فى هذه الربوع .

والرجل هناك على جانب عظيم من الثقافة والرقى والادب وامامه مستقبل رائع رغما عن المشاكل العظيمة التى يواجهها وعلى الاخص مشكلة امتزاج السلالات

وكان من اغراض رحلتى هذه الى هذه البلاد احياء ذكرى رجل فرنسى عظيم خدم بلاده خدمة عظيمة هو « الكفالييه دلاسال » الذى اسس فى القرن السادس عشر مدينة صغيرة تمثل الحياة الفرنسية وعمل على نشر الثقافة الفرنسية فى بلاد جديدة . وما زالت للان هناك قرى وضياع تكاد تكون فرنسية وفيها اثار وذكريات خالدة لذلك الرجل . وقد زرنا معسكرا اسمه معسكر الحرية على ابعد خمسة كيلومترات من المساكن كان قد شيده بعض الفرنسيين من اتباع نابليون بونابرت كانوا معه فى سانت هيلانة وتركوها بعد موت الماهل العظيم ويمموا شطر هذه الولاية . ولما وصلنا الى المعسكر قوبلنا بترحاب عظيم وعلى الاخص من جانب السيدات اللآتى يحببن الثقافة واللغة الفرنسية وقد اهدوا الينا مداليات تذكارية . واقام لنا الفرنسيون المقيمون هناك حفلات تكريم فرنسية وسمعنا بعض الاغانى الشعبية الفرنسية ولم نشعر مطلقا اننا فى ارض غير فرنسية وتمثلت لنا عظمة فرنسا وبقاؤها حية طوال هذه المدة .

ولفت نظرى على الاخص الطعام الامريكى فهو احسن من الطعام الانجليزى ولكنه غريب عاو عن اذواقنا . وكان ذلك مجالا للاعتراض من جانب اعضاء البعثة . والامريكى مثل الانجليزى لم يصل الى التناسق فى الوان الطعام . ولكن فى « اورليان الجديدة » عاصمة لويزيانا كنا نجد

المطبخ الفرنسي القديم وعيبه الوحيد انه لم يكن صحيا بمعنى ان الطعام تنقصه الاهمية الغذائية اللازمة للجسم لخلوه من العناصر اللازمة

وصلت اخيرا الى نيويورك ودهشت جدا لجمالها الرائع وفتنتها ، عاصمة تختلف عن العواصم الكبرى مثل لندن وباريس ، واقعة بين نهرين ومشيدة على الصخر ذات فن معماري لا مثيل له في اي مدينة في العالم تمتاز بالشواهق « ناطحات السحاب » تذكر السائح باهرام الجيزة في مصر ومعابد الهند الصينية . ويفاخر الامريكيون بقدرتهم على قهر الطبيعة وامكانهم تأسيس مثل هذه المباني الرائعة ويتخذون ذلك دليلا على قوة الانسان وعظمته وكبريائه وهذا ما تحققته حين جولت في « الشارع الخامس » اذ هو احسن مثال للجمال الفني وبداعة التنسيق ليس فقط لضخامة المباني وعظمتها التي تعتبر بحق الرسالة الحديثة في فن البناء بل ايضا للروح المرحة الجذابة التي تسود المكان وتكسبه لونا بديعا يعجب ويسر السائح . وهذه الروح المرحة توجدها المرأة الامريكية التي تمثل السيادة والتي قلدت المرأة الباريسية من حيث اختيار الازياء وابتكارها والتزين . وقد نجحت الامريكية فيما ذهبت اليه ولكن الى حد معين ، نجحت في الظهور بجمال شعرها وحسن تزينه وظهرت شخصية جديدة في عالم المرأة بجانب الباريسيات وسيدات لندن ، لها سحر وجاذبية لاشك فيها . انما ليست لها رشاقة وفتنة الباريسية وليست في عينيها اثار الحياة المتغيرة مثل ما نرى في عين الفرنسية ذات البريق والسحر . اقول ان سيدات نيويورك يرتدين احسن الازياء ويمشين في « الشارع الخامس » ويقفن امام واجهات المتاجر الكبرى ليشاهدن الازياء الحديثة والابتكارات الجديدة ، وتعمد المتاجر نفسها الى اختيار الفتيات الجميلات فيلبسن اخر المودات ويقفن داخل الفترينات لعرضها . فكأن هذا الشارع معرض للازياء والنساء فاكتسب من ذلك ميزة الجمال والمرح وهو في نظري اهم واجمل شارع في نيويورك كلها

يلومون المرأة الامريكية لانها تحب السيماتوغراف والسياحة ، وقد انتقدوها لذلك وبنوا حكمهم على الامريكيات اللاتي شاهدوهن في خارج امريكا اي السائحات . ورداً على ذلك اقول ان هؤلاء السائحات لا يمثلن امريكا ولا المرأة الامريكية فاكثرهن بنات او زوجات جزارين اوبقالين اوتجار اثروا وارادوا ان يطوفوا العالم ويشاهدوا المعالم والاثار في المدن المختلفةفيه



الاستاذ هنرى بيير

وقد أتاحت لى الفرصة ـ نظرا لأنى كنت مدرسا ومحاضرا هناك ـ أن أتحدث الى كثيرات من الامريكيات ، سيدات وآنسات. فأقول ان الامريكية ليست على جانب كبير من الذكاء ولكنها تمتاز بنزعتها الاستقلالية فى كل الامور. فالسيدة تنزع الى تنظيم وتحديد النسل حتى ولو كان ذلك ضد ارادة الزوج الذى تميل الى أن تخضع له ولكن مع الاحتفاظ بشخصيتها وكرامتها . وهى لاتستطيع أن تتحمل اعباء كثيرة كما تتحملها المرأة فى الاقطار الاخرى. وتميل الى الاطلاع. وهى على جانب كبير من الثقافة لها حرية الرأى ولهذا الرأى قيمته وأهميته وتعمل دائما على أن تكون موضع احترام الناس ، ولها نشاط عظيم فى ميدان الخدمة الاجتماعية وتحب الجماعة والتعاون وتضع نفسها لخدمة الآخرين ولكنها تشعر أنها مساوية للرجل ، ويعرف الرجل فيها هذا المبدأ — مبدأ المساواة فلذلك تترك واقفة فى الترام أو الاتوبيس اذا لم يكن هناك محلات خالية دون أن يعرض عليها أى رجل محله . ولذلك نجد دائما فى امريكا نزاعا بين الرجل والمرأة أدى الى « حرب الجنسين » وهذا النزاع من المشكلات الحالية . فالرجل تنقصه روح الزمالة مع المرأة ويقول أنه يشتغل كثيرا ويكد ويعطى امرأته نقودا كثيرة وان المرأة جافية القلب لاتبادله الحب الواجب ولاتعنى بشئونه ولاتمنحه العطف اللازم اذ أنها تخرج من النادى لتذهب الى محاضرة أو بالعكس فليس لديها وقت لزوجها

ويمتاز الطفل الامريكى بالحيوية والنشاط ويقبل على التعليم بشغف . والتعليم الابتدائى عام للجميع ونسبة الامية لاتكاد تذكر . والتعليم الجامعى فى متناول كل شخص ولكل جامعة رأس مال كبير قد يبلغ فى بعضها ٧٥ مليون دولار وتوجد فيها فروع كثيرة للدراسة . وتعنى الجامعة عناية

تامة يشتون طلبتها حتى ان الترشيح فى الوظائف الخالية فى بعض دوائر الاعمال يجيء عن طريق الجامعة التى كثيرا ما تعين فى الوظائف بعض الطلبة قبل أن يتموا دراساتهم وينالوا الاجازات الدراسية المطلوبة وتسمح لهم بالانتساب حتى يحصلوا على الدبلومات الخاصة . ويبدو على الشبان النشاط الدائم والحماسة وحب العمل والثقة بالمستقبل . والشاب لايدع اليأس يتسرب الى نفسه بل يعتقد ويؤمن فى المستقبل ، له قدرة على العمل وقوة وذوق فيه ، وهو يختلف كثيرا عن طلبة جامعات اكسفورد وكامبردج

والامريكيون يحبون الفنون الجميلة ولهم قدرة على الابتكار والانتاج وفى الموسيقا مثلا استفادوا من وجود الزنوج فادخلوا على الموسيقا أغانى هؤلاء القوم وامتازت الموسيقا عندهم بطابع خاص لهذا السبب . وفى الرسم تأتى أمريكا بعد فرنسا فى الترتيب وتكون الثانية فى العالم فى الفنون الجميلة

والدين الامريكى هو النجاح كما كانت الحال فى القرن الثامن عشر فى فرنسا ولذلك لا يرى الامريكيون لتحقيق هذا المبدأ الا العناية بالتعليم والعمل على التقدم والسعى دائما . ويحب الامريكيون المؤلفات الفرنسية فى الفلسفة ويقرأون على الاخص كتابات جان جاك روسو وديدرو ويحبون كذلك حرية الرأى والصراحة وحرية الرأى مكفولة هناك وهم يهتمون بالسياسة اهتماما كبيرا ومحور حديثهم فى غالب الاحيان يدور حول الحال السياسية فى العالم والتطورات العالمية المنتظرة

والسياسة الامريكية الحالية ممثلة فى شخصية الرئيس روزفلت وهو محبوب جدا من السواد الاعظم من الشعب وهو ارستقراطى فى شخص ديموقراطى يتكلم برقة وعطف ، له شخصية عظيمة ومثله الاعلى هو النجاح والسلام والعطف على الانسانية لايحب الحرب ويبذل جهده فى تجنب وقوعها وهذا ظاهر فيما فعله فى شهر سبتمبر الماضى فى اثناء الازمة التشيكوسلوفاكية وكيف ناشد الساسة الاوربيين ان يبذلوا ماق وسعهم فى سبيل السلام والوفاق .

وقد ثار عليه بشدة اصحاب رؤوس الاموال ورجال الصناعة والاعمال واتهموه بانه يشجع النظام الاحتكارى الذى يؤدى الى انحطاط الاعمال الاقتصادية فيزيد فى ثورة الشعب وقد كون هؤلاء الرجال بمعاونة اتباعهم معارضة شديدة قوية للعمل على اسقاطه فى الانتخابات وتأييد احد منافسيه ولكن روزفلت محبوب جدا من السواد الاعظم ولذلك استطاع ان يحقق المعجزة فى اعادة انتخابه رغما

عن معارضة كثير من الصحف الامريكية اذ يكفى ان تعلم بان اكثر من ثلاثة ارباع الصحف الاميركية الكبرى كانت ضده وقد دفع لها خصومه اموالا طائلة لتقوم بالدعاية ضده : فاستعان روزفلت بالراديوفون حيث كان يستطيع كل شخص سواء فى المنزل او القهوة او النادى ان يستمع الى الخطب الرنانة والدعاية الواسعة له من جانب اعوانه وانصاره .

ويقول بعضهم الان ان روزفلت نفعى يتقلب حسب الظروف . اما الروح السائدة الان فهى روح الديمقراطية والانسانية والبعيد عن خصومة السامية اليهودية والعطف على اليهود الالمان فى محنتهم الحالية وكثيرا ماهاجمت الصحف الامريكية المانيا لاضطهادها اليهود .

وامريكا على العموم تكن حبا عظيما لفرنسا ويقبل الامريكيون على التزود من الثقافة الفرنسية ويميلون الى مساعدتنا بل اقول ان كثيرا منهم يريدون ان ينضموا الى صفوفنا فى حالة الحرب ويساعدونا فى قضيتنا .

والمذهب الدينى السائد هو البروتستانتية ويعمل الامريكيون على نشره فى جميع العالم ولهم ارساليات دينية لهذا الغرض فى جميع الاقطار وهم المثل الاعلى للبروتستانت فى العالم

• • •

لما كنت فى امريكا الجنوبية ذهبت الى ارجنتينا ولاتزال ترن فى اذنى موسيقاها الشجية العذبة التى لن انساها

اعجبتنى جدا هذه البلاد وهى تشبه الولايات المتحدة من بعض الوجوه وتختلف عنها من وجوه أخرى . بلاد جذابة مرحة — بلاد جديدة لها مستقبل عظيم — غنية بثروتها الزراعية وشهيرة بتربية الحيوان . وهى تتقدم تقدما عظيما ويزداد عدد السكان بنسبة كبيرة وقد خلت تماما من الامرنديين

كانت فى أول الأمر حين فتحها الاسبانيون فقيرة جدا وقد هاجر اليها كثير من الاسبان ولكنهم لم ينهضوا اليها بالارقاء ثم تبعهم الايطاليون والفرنسيون . وهى تدين الى هؤلاء المهاجرين بتكوينهم لها . وبها اثار اسبانية كثيرة وعادات وأخلاق ونظم وتقاليد أسبانية تشاهد فى كل مكان فى أن البلاد كلها ما زالت متأثرة بألوان الحياة الاسبانية

وكان الدافع لفتح الاسبانيين لهذه البلاد الاعتقاد بوجود كنوز كثيرة بها ففكروا فى الاستيلاء على هذه الكنوز الطائلة كما كانوا يتوهمون ثم تبعهم اليها كثير من الشعوب الأخرى لنفس السبب أى للبحث عن الذهب ، أو هربا من اضطهاد دينى أو سياسى

وعاصمة ارجنتينا مدينة كبيرة جدا بها مليون من السكان تمتاز بجمال طبيعى نادر وفى جنوبها شلالات جميلة جدا أروع من شلالات نياجرا . فضلا عن المناظر الطبيعية الخلابة

وقد جرت العادة على تقسيم أمريكا الجنوبية ثلاثة أقسام

١ : أمريكا السوداء أى برازيل
٢ : أمريكا الحمراء أى شيلى
٣ : أمريكا البيضاء أى أرجنتينا

وأهم ما يلاحظ فى أمريكا الجنوبية عموما وعلى الأخص فى ارجنتينا ميل الناس وحبهم للكرم بل لا أكون مغاليا اذا قلت انهم يعبدون الكرم الذى هو من التقاليد الاسبانية الباقية رغما عن تنوع الاقوام المهاجرة الى هذه البلاد ، اذ ان فيها سبعة ملايين من الايطاليين اى اكثر من نصف عدد السكان الذين يبلغون ١٣ مليونا وقد امتزج الايطاليون بالسكان وتشبهوا بهم وقلدوهم وأصبحوا مثلهم .

أما الفرنسيون فقد حافظوا على قوميتهم وروحهم وشخصيتهم ولم يصبحوا « ارجنتينيين » مثل الايطاليين ،ومثلهم فى ذلك الانجليز .

والفرنسيون والانجليز اصحاب رؤوس أموال وأعمال صناعية وزراعية يتعاونون مع الشعب ماديا ومعنويا ، وقد اظهروا معهم عطفا كريما نحو أسبانيا فى محنتها الحاضرة .

ولارجنتينا شخصية قوية استطيع أن أقول انها اقوى من شخصية الولايات المتحدة والارجنتينى يعتد بنفسه وبشخصيته ، مبدأه العمل على التقدم والنجاح ولاسيما النجاح المادى . وهناك قصة شعبية فى كتاب « مارتينى فيورو » يقرأها كل الشبان والشابات لأنها تبين طريقة الكفاح اللازمة للشباب للوصول الى النجاح ، فى قالب قصصى سهل . ومن اخلاق بطل القصة انه يشعر دائما بالسعادة حتى ولو فشل ، ولا ييأس مطلقا ، بل يستعد لكفاح اقوى ويوحى لنفسه انه سينجح المرة بعد المرة

وللشعب فلسفة خاصة مستمدة من فلسفة ونظريات برجسون : الفليسوف الفرنسى المعروف على حين ان سكان امريكا الشمالية اى الطبقة المثقفة تميل دائما الى الفرنسى ايضا ديكارت وتمتدح آرامه ونظرياته .

للشاب الارجنتى ذكاء نادر لا ينافسه فيه اى شاب فى اى قطر فى العالم ، ذكاء فطرى يغبط عليه وقدرة على الدراسة والالمام بدراسات متنوعة لا ارتباط بينها . فقد يكون الشاب محاميا بارعا وطبيبا ماهرا ومهندسا وموسيقيا يمارس هذه المهن كلها فى وقت واحد . تسألنى كيف يتمكن من ذلك ؟ اقول هذا سر لا أفهمه . وله ولع شديد بلعبة الجولف . وهو يجرى وراء الكرة بنفسه لا يستعين بصبى لذلك والشعب على العموم يحب الثقافة والاطلاع على كل جديد فى اى ناحية من نواحى النشاط العقلى حتى ان الكاتب المشهور بول دوفاق يلقبهم الاوائل فى العالم من وجهة الثقافة وقد كان الاقبال على المحاضرات التى القيتها فى الجامعة عظيما جدا ذكرنى بمصر وكيف كانت قاعة المحاضرات بالجمعية الجغرافية تزخر بالجمهور المتهافت لسماع المحاضرات فى الادب والثقافة الفرنسية . وهناك مجلتان للادب تتنازان بكثرة ما فيهما من مواد وابحاث ، وهناك ايضا مجلات وصحف للسياسة التى يحب الشعب الخوض فى ميدانها وابداء الاراء فيها بحرية مطلقة .

وللموسيقا المكان الممتاز فى قلوبهم ولهم بها ولع غريب ويكاد كل شخص يجيد العزف على آلة موسيقية ، ولقد سمعت هذه الموسيقا مرارا وطربت من عذوبتها وسحرها ولن استطيع ان انساها؟

امين غالى

الحلويات الشهية



اماني الطفولة

عشرون سنة من التطور الاجتماعي في الهند

منذ الحرب الكبرى أو عقب الصلح بقليل شرعت الهند تحس رجة اجتماعية تزعزع تقاليدها وتكشف عن منابع قوتها وتستغل فتوة أبنائها . وقد تولى زعامتها غاندى فاتى ضحايا ما زال الى الآن يمهد بعضها ويكافح بعضها الآخر

ومسائل الهند التي ما زالت قائمة يمكن أن تنحصر في أربع وهي :

١ — مسألة الاستقلال السياسي

٢ — مسألة المنبوذين

٣ — مسألة المرأة

٤ — مسألة الخلاف بين المسلمين والهندوكيين

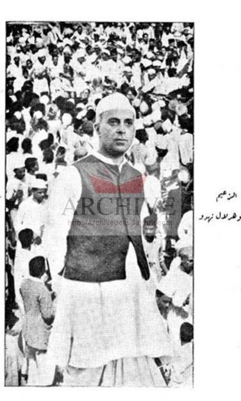
ولا يمكن أن يقال أن الهنود قد نالوا الاستقلال الذى نشدوه منذ الحرب الكبرى . ولكنهم استطاعوا أن يحققوا قسما كبيرا منه ، فان في الهند الآن حكومات تتمتع بدساتير محترمة وان كانت السلطة جميعها ليست في أيدى الهنود . ولكن في حدود السلطة الممنوحة لهم يمكنهم أن يقوموا باصلاحات مختلفة في التعليم والصحة ومكافحة الفاقة والرذائل . وقد رأينا كيف أن بعض الولايات قد كافح الخمور والغى صنعها وبيعها والاتجار بها عامة . وكيف أن بعضها الآخر قد عين بعض النساء وزيرات

وهذه الولايات التي تتمتع بالدساتير هي الولايات التي كان الانجليز يحكمونها مباشرة وهي احدى عشرة ولاية بدون راجوات أو مهراجات . أما الولايات الأخرى التي يحكمها هؤلاء فلا تزال محرومة من الدساتير . ويسعى الوطنيون من الهنود الى ايجاد حكومة اتحادية عامة للهند تدخل فيها الولايات التي يتولى الحكم فيها الراجوات والمهراجات

ولكن هذا لن يتحقق الا بعد مصاعب كبيرة. فان المهراجا أو الراجا هو حاكم مستبد ورضاؤه بالدستور سيكون بمثابة النزول عن استبداده ولم تكن الحكومة الانجليزية تتدخل فى شؤونه إلا بمقدار صغير لاينازعه فى سلطته الداخلية على رعاياه. ولكن الدستور سيقيده. ومن هنا المقاومة التى يلقاها الهنود الوطنيون من الراجوات والمهراجات. وأمنية «الولايات المتحدة الهندية» لاتزال لهذا السبب بعيدة التحقيق

وقد نص قانون ١٩٣٥ الذى أصدرته الحكومة البريطانية الامبراطورية على ايجاد حكومة اتحادية تؤلف من نواب الولايات الاحدى عشرة والولايات المستقلة. ولكن امراء هذه الولايات قد رفضوا الى الآن اعلان الدستور وتأسيس برلمانات فى ولاياتهم فاذا الف برلمان اتحادى لجميع الهند وكان فيه نواب هذه الولايات المستقلة فانهم سيكونون آلات مسيرة من امرائهم بل آلات رجعية لاستبقاء امتيازات هؤلاء الامراء الذين يستهلكون معظم موارد رعاياهم فى أغراضهم الشخصية. ولهذا السبب رفض الوطنيون هذا الاتحاد — مع رغبتهم فى وجوده — من قبل أن يعلن هؤلاء الراجوات والمهراجات الدستور وقبل أن يؤلف كل منهم برلماناً مستقلاً يقضى على استبداده

أما مسألة المنبوذين فقد نجح غاندى نجاحاً عظيماً فى تحطيم السياج الذى كان يحبسهم ويضيق عليهم. ولكن التحطيم لايزال معنويا اكثر منه ماديا. فان الولايات أو المدن أو الاقاليم التى قبلت أعتبار المنبوذ آدمياً ليست به نجاسة ويمكن الاختلاط به قليلة. ولكن المبدأ كسر والعقيدة تحطمت فلم يبق سوى التنفيذ. وليس تحطيم التقاليد مما يتيسر بالوثوب والطفرة إلا اذا كان على أيدى رجال الحرب الذين ينفذون أوامرهم بالسيف. ولكن الحركة الهندية بعيدة عن العنف. وهى تحرض ولا تتحدى. والجيل القديم الذى نشأ على استقذار المنبوذ لايزال على قيد الحياة. ورجاله لا يقتنعون بالمبادىء الغاندية الجديدة ولكن الجيل الجديد الذى نشأ على الجمع بين نشدان الاستقلال السياسى وبين النهضة الاجتماعية قد أدرك أن مكافحة التقاليد الهندوكية السيئة يجب ألا يقل المجهود الذى يبذل فيه عن المجهود الذى يبذل فى اخراج الانجليز من الهند. وقد أسست المدارس للمنبوذين وفتحت بعض المعابد بدخولهم فيها واستنار الرأى العام الهندى فى هذا الشأن بدعاية دامت عشرين سنة فى المجلة الاسبوعية التى يخرجها غاندى وسائر المطبوعات التى تؤلف فى هذا الموضوع



الزعيم
جوهر لال نهرو

للدعوة الى المساواة الاجتماعية

أما المسألة الثالثة وهى مسألة المرأة فقد ذكرنا أن بعض الولايات قد تألفت فيها وزارات كانت النساء بعض أعضائها ، ولكن يجب الا يؤخذ هذا المظهر المسرحى دلالة على الرقى النسائى العام فى الهند .

فان المرأة الهندوكية لا تزال تحرم من الميراث ولا يجوز للارملة أن تتزوج بل لا يجوز لها أن ترخى شعرها اذ يجب عليها أن تحلقه . والمدارس الخاصة بالفتيات قليلة جدا فالضمير الهندوكى لم يستيقظ بعد الى ضرورة المساواة بين الجنسين فى الحقوق البدائية . وحركة غاندى هنا لا تمد باعثا قويا للنهضة المرأة بل هو يرى أن البيت هو المكان الأول للمرأة . وهذا الكلام بالطبع حسن ولكنه ينتهى بالرجعيين الى ابقاء المرأة قعيدة للبيت . ومرض التدرن يقتل الملايين من نساء الهند لحبسهن عن الحركة

وأعظم ما تواجهه الهند من المشاكل ولم تنجح فيه النهضة الحديثة هو الخلاف القائم بين الهندوكيين والمسلمين . فان الزعماء من الطائفتين ينشدون الوفاق ويعملون له . ولكن الخلاف بين العامة سرعان ما يلتهب بأقل احتكاك وكل مصادمة تحدث تترك آثارا كالعقابيل للمرض يثور ثم يهدأ ولكنه يترك أعراضه وأوجاعه التى تثير الذكريات السيئة

ولكن الهنود — هندوكيين ومسلمين — قد تطوروا مع ذلك فى العشرين من السنين الماضية . ونهضتهم سياسية واقتصادية واجتماعية . وقد حققوا فيها اصلاحات عديدة تتسم جميعها بسمة الثبات والبقاء . وقد لا يخطر ببال القارئ أن عند الهنود من مصانع النسيج للقطن ما سوف يكفى الهنود فى المستقبل القريب . وليس هذا بالشىء الصغير فى قيمته اذا عرفنا أن هناك ٣٨٠ مليون هندى . على أن أعظم ما تمتاز به الحركة الهندية أنها تتجه نحو الديمقراطية اتجاهاً قويا بل قويا جداً بفضل الزعماء غاندى ونهرو . فان هذا الثانى اشتراكى نشأ فى أسرة غنية فنزل عن جميع ممتلكاته . وهو لا يؤمن بالاديان قاطبة ويدعو الى الغاء الامارات فى الهند وايجاد اتحاد هندى مؤلف من جمهوريات مستقلة . وظهور مثل نهرو على القمة فى السياسة الهندية برهان على الاتجاه الديمقراطى على الرغم من المبادىء لامبراطورية البريطانية ومن استبداد الامراء الوطنيين

العقلية المصرية والثقافة اليونانية

للاستاذ حليم متري

أخرج الاستاذ الكبير المحقق الدكتور طه بك حسين عميد كلية الآداب كتابه الاخير عن «مستقبل الثقافة فى مصر» وهو دراسة عميقة مفصلة أو دراسة جامعية ممتعة عن نشأة الثقافة فى مصر القديمة ومصر الاسلامية ومصر الحديثة يعرض فيه العقل المصرى القديم والحديث وعلاقة هذا العقل بالحياة العقلية اليونانية القديمة ومدى تأثير هذه الحياة فى العقل الاوربى الحديث. ثم يعرض فيه لمرحلة التعليم فى مصر فيبدأ بالتعليم الاولى وينتهى بالجامعى ويتناول هذه المسألة المعنوية بالبحث والتحليل فى الهدوء العلمى والاتزان المنطقى وينتهى من هذا كله الى نتائج موفقة لها خطرها وقيمتها ثم يعرض للانتاج العقلى والترجمة وقلة المثقفين وأسباب ذلك ثم التعاون على تنظيم الثقافة. ثم يعرض ايضا للثقافة المصرية ومميزاتها ووجهتيها الانسانية والقومية. ويبدو لى من قراءة هذا الكتاب الذى هو عرض على لحياتنا العقلية فى متباين صورها ومناحيها اننا فى حاجة قصوى دون شك الى درس هذه الموضوعات التى أثارها الاستاذ العميد لانها ضرورية بالقياس الى حاجتنا العقلية بل هى خصبة منتجة لمظاهر نشاطنا العقلى او ما يطلقون عليه « الكفايات العقلية الرفيعة »

ولقد يخيل الى ان الدكتور العميد يحى كأى مثقف حر النزعة حياتين حياة الواقع بما فيها من مؤثرات البيئة الاجتماعية والوسط العلمى وحياة الخيـــال التى يطمع فى أن يحياها. والفرق بين الحياتين هو الفرق بين الموجود الناقص وبين المتخيل الكامل. ولعل من طبيعة العقل الانسانى أن يتم بخياله ما يراه ناقصا فيما يتصوره من حقائق المجتمع. ونحن مهما قيدنا العقل — وما أكثر ما نقيد

العقل – ومنعناه من التفكير فيما يحب ويطمع بل فيما يرجو ويأمل فأنه ينصرف عنا احياناً حتى اننا لنحلم فى يقظتنا . بل قد ينساب هذا العقل الى طائفة غير قليلة من الخواطر التى تهيء لنا الواناً من التفكير عديدة بل هى قد تدعونا الى شىء من الجهاد الفكرى إن كثر أو قل ففيه ما فيه من اسباب الراحة الذهنية التى تعقب ذلك الجهاد . تلك الراحة التى هى صنو الحرية . . وهكذا دائما يفر الرجل المثقف من الجو الذى يعيش فيه والذى يتبين منه النقص والتشويه والأختلال الى داخل نفسه أو ذهنه ليستعيض من الواقع أملا أو من الحقيقة حلماً .

ولقد تهيأ الدكتور العميد على أن يجلو كل ما ينصرف اليه عقله الجبار من تفكير عميق بشأن نهضتنا الفكرية . شأنه فى ذلك شأن العالم الفيلسوف الذى يعمد الى الكفاح فى سبيل تحقيق فكرة له خاصة تقوم على ما فى ذهنه من هموم وما يختمر فى عقله من آراء . وكتاب مستقبل الثقافة فى مصر يدل دلالة واضحة على ان العقل العلمى لا تروقه العواطف التى تنتهى الى المبالغة لأن صاحبه يؤمن بالعلم وبالثقافة العلمية بل هو مشغوف بهذه الثقافة التى يدرس على ضوئها اتجاهات الأدب الحديثة كما ان طابعه الأدبى لا يخلو من ذلك الاحساس الروحى الذى يلازم العالم عن تطلبه المثل الاعلى ويقابل هذا الاحساس فى نفسه النظرة الفنية والفلسفية . والنظرتان تفترضان الخروج من الحيز النفسى الضيق الى دائرة المجتمع لنقده وتبيان حقائقه بل أن هاتين النظرتين تفترضان دقة القياس والحكم وتحملاننا إطالة النظر بشأن النقائض الكثيرة فى معرض الفكر والشعور . ومن الموضوعات التى ينبغى على المثقف المصرى إستيعابها موضوع العقلية المصرية وموقفها من الحضارات التى عرفها وادى النيل . وقبل ان نبدأ بهذا البحث ينبغى ان نعرف شيئا عن أصل المصريين من وجهة السلالة . فالذى يحدثه العلم أن السلالة هى « مجموع أوصاف جسدية توجد معاً ومشتركة بين الافراد فى جمهور من الناس وتنتقل بالوراثة » وقد اكتسبت السلائل البشرية مميزاتها بتأثيرات البيئة والعوامل الطبيعية . ولقد اختلفت روايات المؤرخين بشأن المصريين وأصلهم . ففريق يقول أن اصلهم إفريقى أو نوبى وفريق يقول أن المصريين من أصل سامى وان أهل مصر الحديثة عرب . ومهما يكن من شىء فحقيقة أمر المصريين أنهم بعد أن نزلوا بوادى النيل طبعوا بطابع بيئته المحلية الخاصة به والتى تغلبت عليهم كما تغلبت على الاعراب الذين نزلوا بمصر ولا تزال كذلك الى يومنا هذا .

ثم لقد كانت قواعد العلم بأمر القومية المصرية من مبدا الأمر يعرض لها علماء اللغات والآثار ولم تدخل فى طور العلم التجريبى الا على أيدى المشرحين من علماء الطب الذين درسوها بطرقهم واساليبهم العلمية المستحدثة. فمن الثابت أن هنالك تأثيرات معنوية على النسل بحكم العوامل الطبيعية واحوال البيئة وهذا ما يقرره علماء الاجتماع كما قد يأخذ به علماء الآثار. وانما المشرحون وفى طليعتهم الدكاترة اليوت سميث ومحمد شرف وشوشة وغيرهم من الذين عنوا بتحديد النشأة السلالية لقدماء المصريين ينتهون الى هذا التحديد عن طريق وحدة الدم والمقارنات العضوية والشكلية الخاصة بالرأس ولون البشرة والشعر.

فالدم يحمل جميع الخواص التى تكون الوراثة ومن شأن هذه الخواص الاحتفاظ بالنوع أو الوحدة فى أثناء عملية التطور. والاحتفاظ بالنوع أو الوحدة هو الذى يربط بين الماضى والحاضر.

والاشعاع التشريحى عن طريق اختبار الدم قد أثبت حقيقة علمية جازمة هى قدرة الحياة على التطور والتقدير والانتقال من كائن الى آخر كما ان فى « البروتوبلازمة » المادة الحية شيئاً من « بقاء الطابع » ينتهى بالحياة الى حدود معينة واتجاه واحد، ومن التجارب التحليلية للدم والمقارنات العضوية والفروق الشكلية اتضح لعلماء المشرحين انه ليس هنالك تفاوت فى التكوين بين سكان وادى النيل مما يؤيد وجود سلالتين. كما انه ليست هناك فروق جوهرية فى مقاييس رؤوس المصريين قبل التاريخ وسكان الصعيد الآن مع اعتبار الغزو الاغريق والرومانى والفارسى والعربى والتركى. فالتجانس القائم بين سكان مصر الآن هو نفسه ما كان لهم منذ ٧٠٠٠ عام واذكر ان الدكتور محمد شرف قال مرة فى محاضرة له « وفى الفيوم ينبغى ان نلاحظ ان الدليل الانفى لم يتأثر بالقنا وهو طول الانف وارتفاعه مع دقة عظامه وأرنبته. وهذا القنا من اوصاف الاغريق وكان لا بد من ظهور اثره فى اهل الفيوم لو اختلط الاغريق بهم. فقد كانت الفيوم ملكاً لجند الاغريق سنينا ولكننا نرى العكس. فالدليل الانفى فى الفيوم ليس أعلى منه فى بلاد الساحل» ويستخلص من ذلك انه محا كل أثر المستعمرين من الاغريق فى هذه الجهة فأنه قد زال وان الشكل الأصلى قد عاد فأكد وجوده.

ويقول ايضا. « قالوا ان اكثر اهل الدقهلية والشرقية والقليوبية من العرب ولكن ابحاث الدم والعظام تنفى إختلاطا كبيراً بالعرب فى هذه الجهات لدرجة تؤثر فى صور الناس ودمائهم » ولقد

عمل المصريون منذ القدم فى الزراعة وبعض الصناعات الاخرى والشعب المصرى كانت اكثريته من العمال الذين لا يتماسكون الارض أو يتقلدون الاحكام بخلاف الفاتحين المتغلبين . فكانت الاملاك فى ايديهم والادارة ودفة الاحكام وقدرة العمال على التناسل وسرعة اللقاح كثيرة جدا اذ أن نسبة اللقاح فى نساء الطبقات الغنية الى نسبتها فى الطبقة الفقيرة هى ١ فى المائة الى ٩—١٢ فى المائة ولابد ان يكون لهذا التفاوت العظيم فى الخصوبة وسرعة اللقاح شأن فى بقاء المصريين الاصليين بهذه الكثرة بالرغم من تكرار تداول الاجانب عليهم من هكسوس واغريق وفرس وعرب وترك . ومما يشير اليه هؤلاء العمال ايضا ان بين أهل مصر الحديثة ومصر القديمة تشابها عظيما فى العادات والاخلاق بالرغم من تغير اللسان ويمكن القول اننا نرى فى مصر الآن الحياة القديمة فى سائر مظاهرها من عادات واخلاق قومية ودينية كما ان مصر كانت على مدى الدهور تشاطر سواحل البحر الابيض المتوسط حظها من الرقى العقلى أو الاضمحلال كما كانت تتأثر لحد معين بأحوال العمران بوجه عام . والحضارة فى مصر كانت تسير دائما من الشمال الى الجنوب واللسان الهيروغليفى نشأ فى شمال الدلتا ثم عرف بعد ذلك فى الصعيد . وأما عن العرب فقد عرف عنهم الاهتمام بالانساب والذود عن العصبية القومية وهم الى اليوم يعتبرون الفلاحين غير اكفاء لهم فى النسب ويقولون لا تكافؤ العربى غير العربية بل هم قد يعتبرون بعض قبائلهم غير متكافئة بعضها مع البعض

فالزواج على هذا الاساس بين الفلاح والعربى أمر غير مشاع أو عادى بل هو غير معروف . وقد نجد لهذا السبب ان الاعراب النازلين بمصر يحتفظون بوحدتهم واستقلالهم كجماعة خاصة فهم يعيشون على البداوة التى نشأوا عليها وان كان البعض منهم قد عرف الفلاحة وامتلاك الأرض . ويقول التاريخ أن مصر قد تعربت مرتين الأولى عندما فتحها الهكسوس ولقد كان عددهم كبيراً ولذلك أمكنهم أن يتغلبوا على أمة بأسرها مهما قيل عن حالتها السياسية والأجتماعية يومئذ من حيث الضعف والأضطراب . ولقد حكم الهكسوس مصر من سنة ٢٠٩٨ الى ١٥٨٧ . ق.م اى حوالى الخمسة قرون تناسلوا فيها عشرين جيلا ومن الثابت تاريخياً انهم طردوا فى آخر الأمر طرداً تاماً كقوم منفصلين تماماً عن المصريين . والثانية عند الفتح الاسلامى . ولقد ذكر المقريزى أن كثيراً من القبائل التى نزلت بأرض مصر انتشرت فى انحائها كما قد هاجر اكثرها الى شمال افريقية والسودان عندما وجدوا

تلك الأقاليم اكثرملائمة لحياتهم البدوية. ويقول الاستاذ « سليجمان » فى بحثه الكبير عن مميزات وتوزيع الأجناس البشرية « أن غزو العرب لمصر فى الفترة بين عامى ٦٣٩ ، ٦٤١ مع ماله من أثر ثقافى لم يكن له التأثير السلالى » على أهل وادى النيل بالمعنى العلمى المعروف وذلك لقلة عدد المهاجرين من العرب . لقد كان هذا اكبر غزو فى القرن الحادى عشر ولاسيما عند هجرة قبائل من هلال والقبائل المشتركة فى الدم والطبائع والعادات . وتلك القبائل هى التى أقامت الاسلام فى شمال إفريقية ولقد كان فى إفريقية كما فى أى جهات أخرى أسلامية العصبية الدينية التى تفضل الاصل والسلالة . وإن مجرد كلمة « عرب » تعنى اى شعب يعتنق الاسلام مهما قيل عن أصله وسلالته . فقد كان يجرى فى عروق سكان شمال إفريقية دماء بربرية ودماء امم اجنبية أخرى وهذا قد لايدعونا الى انكار تأثير الثقافة الاسلامية بحكم التوطن وانتشار اللغة وغير ذلك من العوامل ولأننا لانرى دليلا على « طبع » هذه الامم نفسها بالعقلية العربية البدوية أو بمعنى آخر على قيام سلالة عربية جديدة لها الخصائص العقلية أو النفسية التى للعرب .. ويكفى ان يكون للعرب الأصليين سلالتهم المستقلة بل ثقافتهم القومية التى يباهون بانتشارها فى الممالك التى استطاعوا أن يخضعوها وفتحوها » وقد نستطيع الآن أن نجزم بأنه لايوجد دليل قوى يؤيده العلم أو التاريخ عن الاختلاط فى السلالة المصرية بل ان العلم يؤيد استقلال السلالة المصرية منذ القدم وعدم اختلاطها بسلالات أخرى فالمشابهة والمجانسة نجدها متوافرة فى جمهور الشعب المصرى والمميزات التى تبين شعباً أو سلالة هى الفروق الشكلية واهمها الجماجم والشعر ولون البشرة وعظام الأنف والفك ومحجر العين . فأذا اخذنا ايضاً بأختبار الدم والوصول الى وحدته بين المصريين لجزمنا دون شك بسلالتهم المستقلة « ويقول الدكتور اليوت سميث «اذا كان العلم الحديث بأحوال البشر قد اثبت حقيقة فهى التأكد من أن المصريين البداريين كانوا متصلين بأوثق الروابط الشعبية والسلالية مع سكان حوض البحر المتوسط فى العصر الحجرى. وكان المصريون اول هذه الأقوام المتناسبة للتخلص من قيود المدنية الحجرية والنهوض والتقدم . ووحدة أصل هؤلاء الأقوام أمر مقطوع به الآن والبينات الاثرية التى اتخذت من قبل للقول باشتقاق المصريين ومدنيتهم من آسيا قد تداعت امام البحث العلمى والنقد الحديث . والنتائج التى نستدل عليها من سياق هذا البحث هى النتائج التى خرج بها الاساتذه العلماء امثال اليوت سميث

ومحمدشرف وغيرهم .ومنها وجود التجانس بين أفراد الشعب المصرى وعدم قيام ادلة على الأختلاط السلالى وانتفاء وجود اى صلة بين المصريين وبين سكان آسيا أو زنوج افريقيـة وانتساب الشعب المصرى الى ذلك الشعب الذى وجـد فى حوض البحر المتوسط قديماً وهـذا التعين نفسه مايؤيده الأستاذ العميد بقوله « فاذا أردنا ان نلتمس المؤثر الاساسى فى تكوين الحضارة المصرية وفى تكوين العقل المصرى واذا لم يكن بد من اعتبار البيئة فى تقدير هـذا المؤثر فن اللغو والسخف ان نفكر فى الشرق الأقصى أو فى الشرق البعيـــد ومن الحق ان نفكر فى البحر الأبيض المتوسط وفى الظروف التى أحاطت به . وفى الأمم التى عاشت حوله وإذن فالعقل المصرى القـديم ليس عقلا شرقيا اذا فهم من الشرق الصين واليابان والهند ومايتصل بها من الأقطار . قد نشأ هــذا العقل المصرى فى مصر بالظروف متأثرا الطبيعية والأنسانية التى احاطت بمصر وعمل ثم نما وربا وأثر فى غير الشعب المصرى من الشعوب المجاورة وتأثر بهـا وكان من أشـد الشعوب تأثرا بهذا العقل المصرى أولا وتأثيرا فيه بعد ذلك العقل اليونانى . فاذا لم يكن بد من أن نلتمس أسرة للعقل المصرى نقره فيها . فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم وقد كان العقل المصرى اكبر العقول التى نشأت فى هذه الرقعة من الأرض سنا وأبقاها أثرا » ويجمع المؤرخون على أن الحضارة المصرية القديمة هى الأصل الذى قامت عليه مختلف الحضـارات القديمه .وليس ينكر أحد المكانة العليا التى بلغها المصريون فى تحصيل المعارف والعلوم والفنون والمصريون القـدماء لم يبزوا العالم بذكاء نادر خارق وانما الطبيعة نفسها قد حبتهم بالنيل العظيم الذى علمهم بفيضانه الستوى الرى وزراعة الأرض ولقد جاوزوا الزراعة الى الصناعة فعرفوا صناعة المـادن والذهب بوجه خاص . ولقد كانوا فى سبيل الذهب والبحث عنه يسافرون الى الاقطار المتاخمة لبلادهم والبعيدة فيحملون معهم علومهم عن الزراعة والبناء والتحنيط كما كانوا ينشرون فى هذه البلادمعتقداتهم الدينية. وكان المصريون يرحلون الى الجزر الاغريقية للاتجار وجلب الكثيرين من أبناء هذه البلاد لكى يعملوا فى الجيش. ولقد أخذ الاغريق عن المصريين القدماء كثيرا من ثقافتهم الدينية والعلمية . فالمصريون مثلا هم أول من عرف الكيمياء وعرفها عنهم الاغريق فالعرب . وكان الاغريق يبحثون هذه الثقافات ويتناولون منها ما يلائمهم .فقد بحث الاغريق فلسفةالمصريين عن « الالهيات » ولقد حضر « صالون » المشروع

الاغريق الى مصر ليأخذ عنها القوانين والاوضاع الاجتماعية لتطبيقها فى اثينا . وقد يلوح لى أن « الكفايات العقلية » التى اشترك فيها المصريون والاغريق هى الاصول التى قامت عليها أوضاع حياتهم العقلية الاجتماعية المتقاربة . ونعنى بالأشتراك ظهور نتائج هذه الكفايات فى حياة الأمتين من الوجهتين الاجتماعية والعلمية . وتلك الكفايات خاصة بالاعتقاد والتفكير والأثبات فمن هذه الكفايات العقلية تنشأ العلوم والفلسفة . فكفاية الاعتقاد تتعلق بالدين وفروضه . والنظرة الدينية عند قدماء المصريين محددة بأوضاع مجزومة فلهم ايمان مستقل بالحياة الثانية والبعث . بيما ينظر الأغريق الى الدين نظرة البحث والتفقه والاستنتاج وانما ينتهون الى وضع خاص من اوضاع الأعتقاد ولقد مهد الأغريق للفلسفة المسيحية كثيراً . فالأخلاقيات فى التعاليم المسيحية اساسها الأغريق بل ان مذهب خلود الروح يعزى الى الأغريق وليس الى اليهود ولقد اعتبر «الأله» فى نظر اليهود « الشخصية التاريخية العظمى » التى تهيء الحظوظ للشعب المختار والتى تطلب منه التبعية والتضحية واعتبر فى نظر الأغريق الفلاسفة برهان ماوراء الطبيعة واعتبر فى نظر افلاطون نفسه القوة التى تحرك نفسها أو الروح الذى يهيمن على النظام العالمى . واعتبر فى نظر أريسطو « المظهر الذى يوضح وبين المادة » والاساس بوجه عام ان الأنسان كائن معتقد كما هو كائن اجتماعى والاعتقاد هو الخطوة الأولى للدين . أما كفاية التأمل فهى منشأ التفكير فى الأنسان عندما يأخذه الشك بصدد رأى كان يأخذ به أو معتقد كان يعتقده . وهذا التأمل ينتهى الى الاستنتاج العقلى كما قد ينتهى الى القياس المنطقى عندما لايتلائم معتقد الانسان واستنتاجه أو عندما لايتفق المعتقد الدينى مع الرأى الفلسفى . أما كفاية الأثبات فهى نزعة فطرية من نزعات العقل اساسها توجيه العقل الى الأختبار أو الأمتحان . وهذا التوجيه الى الأختبار هو الهدف الذى يتجه اليه الاسلوب العلمى ولقد بز الأغريق المصريين فى هذه الكفاية . فقد كان اريسطو صاحب اكبر عقل على شغل العالم فى العصور القديمة والعصور الوسطى ولم يزل يشغلها الى اليوم فهو الذى وضع علم الحيوان وعلم الحياة وعلم الأخلاق ومبادىء علم التشريح ومبادىء المنطق الاستنتاجى ذلك المنطق الذى قاد فلاسفة العصر الحديث لأن يحددوا فيما بعد المنطق الأستقرائى الذى فرضه فرنسيس باكون على العقل العلمى والذى يقوم على الأختبار وتقديم النوع وان تكون الآراء على الاسس العلمية دون سواها .

فن وجهة الاعتقاد نرى المصريين لهم آلهة تختلف باختلاف القرى والمدن فلم يكن للشعب إله واحد يتوجه اليه بالعبادة وإن كانوا يرمزون الى هـذه الآلهة باله واحد هو « را » اى الشمس مبعث النور والحياة . أما الأغريق فقد كانت لهم نزعة علمية خالصة . لم يؤمنوا باله واحد بل بآلهة ذات صفات انسانية مختلفة وهى آلهة عاجزة لأنها قد تقدر وقد لاتقدر على تحقيق اغراضها . والمعنى العلمى الذى يجب ان نحصل عليه من هذا ان المصريين القدماء كانت لهم عقيدة مجردة حرفية واما الأغريق فقد كان لهم رأى . فهم اول من انشأوا النظريات العلمية وقرروا النتائج الفلسفية وتركوا المذهب والتسليم . ولقد قامت على غرارهم مذاهب الشك التى تزعمها « ديكارت » عند ما اتخذ من العقل علة الحقيقة والعلم فكان متمما بذلك لأفلاطون والآراء الأرتيابية التى دفعها الى العقل « مونتانى » ولقد كان ديكارت عنوانا لطور من اطوار الحياة الانسانية التى تؤرخ قيام مذهبه منذ ثلاثة قرون كما كان ارسطو عنوانا للحياة العلمية الخالصة من شوائب التصوف فى حياة الاغريق ولقد قيل ايضا ان العلوم الرياضية والطب والسياسة والتاريخ وعلوم اللغة وكافة فروع الفلسفة والطبيعيات والمنطق والاخلاق وعلم النفس والفنون والآداب اصولها نابتة فى الحضارة اليونانية . ويقول الاستاذ فيشر ان احرف الهجاء والمدرسة وفن التعليم . هى ألفاظ اغريقية وهذه الألفاظ تعود بذاكرتنا الى النظريات التعليمية التى ابتدعها افلاطون وارسطو ويقول كذلك أن « هيكتياس » اول من عرف التاريخ والجغرافية واخترع « فيثاجورس » نظرية الاعداد . واكتشف « ديموقريطيس » نظرية الذرات والف ارسطو « علم الحيوان » وكتب « ثيوفراسطى عن النبات » « وكتب » أرخميدس ، عن علم قوة حركات الأجسام والميكانيكا . وكتب الأغريق عن النجوم والكواكب . ولم تكن هذه المعارف والعلوم قاصرة على جزر الأغريق بل المعروف ان الحضارة الهيلينية التى نشأت من اندماج الجنس الآرى بالعناصر الأولى المكونة من عنصر البحر الابيض المتوسط قد شملت الولايات التى استعمرها اليونانى ووجد فيها الفلاسفة والمفكرون عقلية لا تختلف عن العقلية اليونانية ، فى شىء كمصر وآسيا الصغرى وايطاليا وغيرها . فالكفايات العقلية للأغريق هى نفس الكفايات العقلية للمصريين مع تقدير التباين فى النتائج المترتبة على التوجيه التفكيرى لكل منها ولهذا يقول بعض المؤرخين أن الأغريق هم اول رواد للفكر الانسانى وأن اخلاقهم كانت مثالية ونزعاتهم انسانية ولما كانت الحرية الفكرية

أظهر طابع للعقلية اليونانية فيمكن أن نستنتج من هذا ان الاغريق عرفوا الطريق القويم فى التفكير الذى لم تؤثر عليه « الميثولوجية » — وهذا ما قد لا يتفق مع آراء المصريين بشأن العقيدة الدينية أو التفكير المنطقى بوجه عام . فالاختلاف هنا فى المنحى التفكيرى. كان يقال ان افلاطون تحدث فى «جمهوريته» عن نظام الحكم بنزاهة وصراحة بينما الكهنة أو الملوك الذين وجدوا فى مصر القديمة كانوا يتقيدون فى نظريتهم بالكثير من التقاليد والاوضاع وأن شذ عن هذا الوضع «اخناتون» الذى عرف الله والتوحيد — والتكافؤ فى العقلية المصرية والعقلية الاغريقية قد ادى الى التبادل الثقافى فى اجيال مختلفة من حياة الاميين . ويقول الاستاذ العميد فى كتابه عن هذه الناحية مايأتى :

« كان العقل المصرى إذن الى ايام الاسكندر مؤثرا فى العقل اليونانى متأثراً به مشاركا له فى كثير من خصائله إن لم يكن مشاركه فى خصاله كلها فلما كان فتح الاسكندر البلاد الشرقية واستقرار خلفائه فى هذه البلاد اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص واصبحت مصر دولة يونانية أو كاليونانية واصبحت الاسكندرية عاصمة من عواصم اليونان الكبرى فى الارض ومصدراً من مصادر الثقافة اليونانية للعالم القديم بل اعظم مصدر لهذه الثقافة فى ذلك الوقت . ومن المحقق ان الثقافة اليونانية على اختلاف فروعها والوانها قد لجأت الى مصر فوجدت فيها ملجأ امينا وحصنا حصينا وظفرت فيها من النمو والانتشار بما لم تظفر بمثله حين كانت مستقرة فى اثينا أو فى غيرها من المدنية اليونانية الاوربية أو الآسيوية . ومن الاطالة فى غير نفع ولا غناء ان نتحدث عن الفلسفة الاسكندرية التى نشأت عن هذا الاتصال الشديد المتين بين العقل المصرى والعقل اليونانى والتى كان لها ابعد الاثر وأقواه فيما انتج للانسانيه من حضارة . ثم خضعت مصر لسلطان الروم فلم يمنعها ذلك من ان تظل ملجأ للثقافة اليونانية طوال العصر الرومانى كما ان خضوع بلاد اليونان نفسها لسلطان الرومان لم يجردها من يونانيتها وانما فرض هذه اليونانية على الرومانيين انفسهم » مما يدعو الى الاثبات ان الثقافة اليونانية كانت المصدر الاكبر للثقافات المعاصرة لها والثقافات التى عرفتها اوروبا فيما بعد

فاوربا قد عرفت الثقافات الفارسية والرومانية والعربية . ووحدة الأصل فى هذه الثقافات . هى الثقافة اليونانية ، والعقل اليونانى كان له الناحية العلميـــة المجردة التى قامت بالكشف عن الحقائق

الطبيعية كما كان له الناحية المنطقية التي قامت على النقد والتحليل . نقد الأنظمة الاجتماعية وتحليل العقائد السائدة . ولقد نشأ الأدب عندهم والفن على النقد والتحليل واهم مايلاحظ فى الفنون الأغريقية أنها كانت تستبق حساسيتها وطابعها من النفس الأنسانية بل من ايمان الأغريقى بنفسه وعقله وقوته ولذلك نرى تماثيل الآلهة فى هيئة الانسان القوى الجميل . وكذلك فى الأدب . اذا تناولنا «سفوكليس» واخترنا قصته Qutigone رأينا انه يريد تحديد العلاقة القائمة بين الفرد والدولة وفهمنا منه موقف الفرد عندما يتعارض مع واجب الطاعة للدولة . فهو ادب سياسى يقرر النزعة الطبيعية الحرة التى تسير وفق طبيعة الأشياء . والعقل الأغريقى إذن كان يشعر الفرد انه مصدر التفكير والسلطة . والأدب الأغريقى له طابعه « الكلاسيكى » فى الاداب الأوربية الحديثة . فأقطاب الأدب اللاتين قد اقاموا أنفسهم على غرار الأغريقى بل كان الهامهم فى الحياة ينبع من معين الآداب الأغريقية المعروفة « بالانسانيات » فبغير هوميروس لانظفر « بفرجيل » كما اننا بغير « فرجيل » لانظفر بدانتى على اننا لانقول ان فرجيل هو صورة تامة لهوميروس أو ان دانتى هو صورة كاملة لفرجيل. ولكن من المحقق ان فرجيل ودانتى قد قرأ هوميروس وتأثر به . والثابت أن أقوى الاساليب والصور للروح الكلاسيكى فى الأدب الأغريقى القديم . وعند هذا الأدب نجدها فى العلاقة التى لاتعرف حدوداً والبساطة والاحساس بالجمال والايجاز . فالجرأة التى نجدها فى الاساليب الحديثة لأدباء هذا العصر اساسها اغريقى لأنها تقوم على حرية الفكر والشعور وهى الجرأة الفكرية التى نتمثلها فى ادب أبسن وشو وولز وهكسلى وهاقلوك اليس ولطفى السيد وطه حسين وسلامه موسى والتراث الفكرى للحضارة الهيلينية قد ضعف فى العصر البيزنطى ولكنه لم يمت . واما مصر وسوريا فقد كانتا ملحدتين بالفكر اليونانى وعندما شرع الفرس فى الحرب مع روما كان من رأيهم ان يعودوا الى بلادهم حاملين الكثير من ثقافة عدوهم ولقد قرر الاستاذ استانلى لين بول مايأتى : لقد كان ملك الفرس « كسرى انوشروان » يكرم النساطرة والهراطقة . عندما كانوا يفدون الى بلاده بعامل الأضطهاد ولقد أقام جامعة عظيمه فى « جند يسابور » حيث كان يدرس فيها الفلسفة والطب ولقد عنى بتعليم الطبقة الدنيا فى شعبه . ولقد كان يرحب برجال العلم ومن بينهم سبعة من اقطاب الأفلاطونية الجديدة كان قد طاردهم « يوستانيوس » وقد جاءوا اليه ليدرسوا الفلسفة فى

فارس » ولقد اغلق يوستانيوس مدارس الفلسفة فى اثينا وكانت قد اقفرت من التلاميذ وتناقص عدد العلماء فيها وذلك عام ٥٢٩ وانتهت الفلسفة اليونانية على هذا الوضع بعد حياة مجيدة استطالت احد عشر قرناً حفلت فيها بأروع آيات العقل البشرى ولكنها بقيت بما هى فلسفة يونانية تناولتها عقول جديدة فى الشرق والغرب . فاصطنعت منها ما اصطنعت وانكرت ما انكرت وهى فى الجوهر الأصل الذى ينهج نهجه . فكان لأفلاطون بفضل نزعته الروحيه حظ كبير عند المسيحين فى بلاد اليونان والرومان وكان لارسطو مثل هذا الحظ عند السريان نقلوا كتبه الى لغتهم ثم الى العربية ولكنهم نقلوها عن شراح كانوا قد أدخلوا عليهـا شيئاً من التأويل الشخصى واكبر هؤلاء الشراح « الأفروديس » ويوحنا النحوى وغيرهما وقد نقل السريان ايضاً مختارات من التاسوعات الثلاث الأخيرة واسموها « الهيات » أريسطو ومختارات من كتاب مبادىء الألهيات لأبوقلوس واسموها كتاب العلل وأضافوها الى أريسطو فقبلها الاسلاميون على هذا الاعتبار ماخلا ابن رشد فأنه أظهر أريسطو على حقيقة وبدالهم مافيها من صوفية اشراقية تتمة طبيعية للكتب الحكمة الأنسانية . والفلسفة الاسلامية قد جاءت مزيجاً من الأريسطوطاليه والافلاطونية الجديدة عدا اقتباسات أخرى من سائر المدارس الفلسفية اليونانية بحيث يتعين على الناظر فى الفلسفة اليونانية ان يرجع الى كل هذه الاصول ولما ترجمت الكتب العربية الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر ذاعت دراسة أريسطو فى الغرب وبعثت فيه نهضة فكرية قوية تطورت الى الفلسفة الحديثة . فالسلسلة متصلة الحلقات والفضل الاكثر للفلسفة اليونانية .

ونعود الى الاستاذ العميد فنراه يقول « وجاء الاسلام وانتشر فى أقطار الأرض وتلقته مصر لقاء حسناً وأسرعت اليه اسراعاً شديداً فاتخذته لها ديناً واتخذت لغته العربية لها لغة فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة ؟ كلا لان المسيحية التى ظهرت فى الشرق قد غمرت أوربا واستأثرت بها دون غيرها من الديانات فلم تصبح أوربا شرقية ولم تتغير طبيعة العقل الاوربى واذا كان فلاسفة أوربا وقادة الرأى الحديث فيها يعدون المسيحية عنصراً من عناصر العقل الأوربى فلست أدرى ما الذى يفرق بين المسيحية والاسلام . وكلاهما قد ظهر فى الشرق الجغرافى وكلاهما قد نبع من منبع كريم واحد وهبط به الوحى

من لدن إله واحد يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء . وكيف يستقيم للعقل السليم والرأى المنصف أن يقرأ الاوربيون الانجيل فلا يرون به بأساً على العقل الاوربي! ولا يرون انه ينقل هذا العقل من الغرب الى الشرق . فاذا قرأوا القرآن رأوه شرقيا خالصاً . مع أن القرآن كما يقول فى غير عوج ولا التواء انما جاء متمما ومصدقا لما فى الانجيل ! اذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربي ولم تخرجه عن غربيته فان الاسلام لم يغير العقل المصرى أو لم يغير عقول الشعوب التى اعتنقته والتى كانت متأثرة بهذا البحر المتوسط . بل يجب أن نذهب الى أبعد من هذا فنقول مطمئنين ان انتشار الاسلام فى الشرق البعيد وفى الشرق الاقصى قد مد سلطان العقل اليونانى وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها الا لماماً ولم يستطع أن يستقر فيها استقراراً متصلا الا بعد أن استقر فيها الاسلام

اما ان العقل المصرى قد تغير فهو مالم يؤيده العلم وما لم يتحدث عنه التاريخ بل المعروف ان بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة اتصالا معنويا وثيقاً هو اتصال الدم الذى سبق ان تحدثنا عنه فالذى يجرى فى عروق المصرى القديم يجرى فى عروق المصرى الحديث والبيئة الطبيعية لم تتغير فهل تبدل الأديان أو اختلاف العقائد يدعو الى تغير ما تثبته طبيعة الزمن أو الحياة ؟ اليس الاسلام والمسيحية واليهودية هى الأديان التى يعرف كل واحد منها الدين الذى سبقه ويعترف به ؟ اليست جميعا قد نزل الوحى بها فى مصر وفلسطين وبلاد العرب وكلها متجاورة أقرب التجاور ؟ اليست اليهودية وهى أقدمها جميعا تتصل بالفراعنة وبمصر القديمة إتصالا متينا والنصرانية تتصل باليهودية وتعترف بها والاسلام يتصل بالنصرانية وباليهود ويعترف بهما . أما نظم الحكم فلا تغير من الحقائق التاريخية شيئا لان نظم الحكم تتأثر بالزمان الذى تكون منه فى مختلف أنحاء العالم . فهى أضعف من أن تترك فى نفسية الأمم أثرا عميقا وبحسب الانفس شيئاً هاماً بالقياس الى الثقافة اليونانية التى تلت الثقافة المصرية القديمة . فالثقافة اليونانية قد تأثرت بالثقافة المصرية القديمة وأثرت دون شك فى العقل المصرى المعاصر لها بل تأثرت بها العقلية المصرية حتى الآن لان هذه الثقافة لم تغير العقلية المصرية عن وضعها الطبيعى بل قد تقدمت به شوطاً بعيدا نحو الحرية الفكرية . وهذه الحرية الفكرية هى التى تسود أسلوب التفكير الحديث . وقد لا نجد فى تأثير الثقافة اليونانية للعقلية المصرية شيئا غريبا . فاليونان ومصر متجاورتان وروح الزمن كانت تربط بين الفريقين بأوثق رباط . فالذى يتحدث

به الاستاذ العميد لا يخالف هذه الأوضاع بوجه عام وانما المخالفة أن ينتقد الدكتور زكى مبارك كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور العميد فلا نصل من نقده الى رأى على فقد كتب يقول « قلت أن عقليـــة مصر عقلية يونانية وصرحت بأن الاسلام لم يغير تلك العقلية فاسمح لى أن أشكوك الى عميد كلية الآداب فعميد كلية الآداب هو أستاذى وأستاذك واسمه طه حسين وان لم تخن الذاكرة يعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنا وهى مؤمنة بالعقيدة الاسلامية . والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرنا فى ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين . ثم يقول « تعال معى يادكتور لنقضى بين علماء الأزهر ساعة أو ساعتين فتراهم جميعا يعتقدون بان العقلية اليونانية هى التى قضت على اليونان بأن يكونوا باعة الفاصوليا والسردين » . ثم يقول ماهى تلك العقلية الاسلامية « هى لون آخر غير العقلية اليونانية » ومن الأسف أن الدكتور « زكى مبارك » لم يحدثنا لا فى هذا المقال ولا فى مقالات أخرى شيئا عن العقلية الاسلامية ولا عن خصائصها .. نعم . لقد كان يجب على الدكتور زكى مبارك ومن يذهبون مذهبه فى النقد — أو ما قد يأخذه البسطاء على أنه نقد — أن يفرقوا بين الاسلام كدين والاسلام كحضارة . فالاسلام كدين عبر عنه الكتاب الكريم — كما ذهب الى هذا الرأى هيكل باشا — أنه يعيد الأديان التى سبقته فى صورتها الصحيحة ويزيل مادخل عليها من تحريف الكلم عن مواضعه ويجلو الحقيقة الأزلية الخالدة الى الناس كافة وهو قد تم كعقيدة منذ اليوم الأول لم يكن اساسه غير الايمان بالله وحده والتسليم له جل شـــأنه لاشريك له . الا ترد عليه أية صورة من صور التطور أو التغير . أما الاسلام كحضارة فقد ظل يتطور على مر القرون وظل يتمثل الحضارات التى جاورته حتى كان ابن رشد والفارابى وغيرهم ممن نقلوا الفلسفة اليونانية الى العربية وممن عاونوا أكبر العون على بعثها عندما بعثها الغرب مستعينا بهؤلاء الحكماء والفلاسفة المسلمين وانى لا أرتاب فى أن العصور الاسلامية تأثرت بالعصور التى سبقتها لهذا الذى قدمت من دراسة الفلسفة اليونانية ولما انتقل الى العرب من آداب الفرس

ويقول الاستاذ العميد شيئا يعزز به هذا الرأى فيبين ان المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع وحدها بعد أن عدلوا عن اتخاذ الوحدة الدينية واللغوية أساسا للملك وقواما للدولة لانهم فطنوا منذ عهد بعيد الى أصل من أصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شىء والدين شىء آخر وان نظام الحكم

وتكوين الدول انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شيء آخر

ومما يجلو هذا التطور الذى تأثرت به الحضارة الاسلامية أن نقول انها حضارة ساهم فى بنيانها الاغريق والنساطرة والفرس والعرب وقد قيل عنها الحضارة العربية تجوزا لأن المخرج المشترك فى هذا الوضع كله اللغة العربية . واذا كان الأخذ بالتجربة والمشاهدة صفة مميزة للذهن العربى « كفاية الاثبات » فى طوره الحديث ولاسيما عند مقابلته على رأى بعضهم بالعقل العربى القائم على النزعة الغيبية فى الناحية التجريبية من الحضارة العربية مايؤيد أن العرب قد نزعوا الى المشاهدة والتجربة واذن فليس بين العقل الغربى والعقل العربى فاصل من هذه الناحية والاساس فى هذا أن للحضارة اليونانية تياران تيار علمى قام على مؤلفات ارسطو العلمية وفيثاغورس وغيرهما وتيار صوفى فلسفى أو أسطورى قام على بعض ما ألفه افلاطون . ومن حظ العرب أو من حظ الحضارة نفسها أن قام النساطرة والعرب بترجمة الآثار العلمية التى كتبها أرسطو ولم يترجموا عن افلاطون الا القليل

والا اذا كانت الناحية الغالبة فى النقل عن اليونانية الناحية الصوفية الفلسفية لما كان «الاحياء» العلمى حقيقة من حقائق التاريخ . فالميزة التى تفردت بها الثقافة العربية أو الاسلامية على التحديد انها عنيت بعلوم الاغريق دون آدابهم . فنقلها العرب وزادوا عليها . فقد أخذوا الكيمياء المصرية فجعلوها علماً تجريبيا لم يختلط بالصوفية الا فى أواخر تاريخهم . اما الطب والفلك والبصريات والميكانيات فقد برعوا فيها . . ويقول الاستاذ سلامه موسى فى كتابه « النهضة الاوربية » ويجمع الآن المؤرخون حوادث تلك النهضة التى سبقت كوبرنيكس بنحو اربعمائة سنة وهى قصة تسرب المعارف العلمية الى أوربا قبل النهضة الكبرى وخلاصة هذه القصة انه عقب احراق المكتبة الثانية التى كانت بالاسكندرية انتشرت الثقافة الاغريقية فى الشرق الأدنى وذلك لان البلاط الفارسى رحب بالعلماء اليهود والنسطوريين الهراطقة والأفلاطونيين فتوافدوا الى فارس . وترجمت الكتب العلمية الاغريقية الى اللغة الرمارثية ثم بعد ذلك الى العربية . ولما استتب الاسلام صارت بغداد ملتقى الدراسات الاغريقية لبطليموس وأرخميدس واقليدس وابقراط وايضا للدراسات الهندية التى عرف العرب بواسطتها الجبر هذا العلم الذى صار بعد ذلك اكبر معوان لتقدم الميكانيكا فى القرن السادس عشر فى اوربا . وكانت الأزياج الهندية فى الفلك قد أدخلت فى فارس قبل تأسيس مدرسة بغداد . ولقد افتتحت مدرسة بغداد بترجمة المجسطى لبطليموس وهندسة اقليدس ومؤلفات ابقراط نقلها الى العربية

مترجمون من اليهود وكانت أزياج « طليطلة (سنة ١٠٨٠) والازياج الالفونسية طلائع البحث فى الفلك واساس الملاحة مدة الاكتشافات الكبرى . ثم يقول وقبل ان يخرج العرب من اسبانيا كان اليهود الاسبانيون المتعربون قد انتشروا فى اوربا يحملون معهم ترجمة العلوم الاغريقية ومؤلفات الخوارزمي وابن سينا وابن رشد

« ومن هنا نعرف ان اساس النهضة العلمية فى أوروبا هى النزعة التجريبية التى نزع اليها العرب ونقلها اليهود الى اوربا فكانت البذرة الصالحة لحضارة الصناعية الحاضرة »

وقيمة هذا البحث هو معرفة الخلاف بين العقلية المصرية والعقلية الاوربية الحديثة التى لم يزل يشع فيها الاثر الريحانى للثقافة اليونانية . ولقد قال عن هذا الاستاذ العميد ما يأتى : «ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم وتأثرت به فرق عقلى أو ثقافى وانما هى ظروف السياسة والاقتصاد تديل من اهل هذا الساحل لاهل ذلك الساحل وانما هى ظروف السياسة والاقتصاد تدور بين هذه الشعوب موانية هذا الفريق ومعادية هذا الفريق . فلا ينبغى ان يفهم المصرى ان بينه وبين الاوربى فرقا عقليا قويا أو ضعيفا » وهذا هو محل التغير المادى أو الاقتصادى للعقليتين المصرية والاوربية فنحن لم نزل نعيش الى اليوم على الزراعة بينما اوربا قد عرفت الصناعات الحديدة وقد اقبلت على حياة علمية زاخرة بالاختراعات والوسائل الحديثة" التى مهدت لها نواح متعددة من الرقى العقلى فالعقليه" الاوربيه" الحديثة" هى العقلية التى تلائم الاسلوب العلمى وإن فى مختلف الشعوب الاوربية «ادراك اجماعى» أو رأى عام يتكون من مجموع الاغراض التى يقوم عليها المجتمع وهذه الاغراض ارتقائية مؤسسة على الاصول الخاصة بعلاقة الفرد مع الدولة واندماج الجزء فى الكل وفى اوربا يكافحون النقائص الاجتماعية بمختلف القوانين والدعايات ويعملون على بث المبادىء الانسانية التى عرفت عن الاغريق . فالناس هنالك للناس . وانما تتغلب الناحية الغيبية على حياتنا النفسية والعقلية فبعض الناس فى مصر وفى الشرق العربى كذلك يحاولون تحقيق الحياة الاخرى فى هذه الحياة الدنيا وهذا أمر بعيد الادراك لاصطدام الروحيات بالماديات . والعقليه" الشرقيه" بوجه عام لها منازع نشأت عن قوة التأثير الخاص بالمذاهب والمعتقدات وتتجه الى القضاء والقدر ورعاية التقاليد والحكم بمقتضى الشرائع المنزلة التى لا تتبدل . والفرق هنا شتان بين المبادىء الانسانيه" التى يحوطها هذه الثقافات

القديمة الصافية من آثار التصوف والمبادىء التى تخدم الواناً من التفكير القائم على ما كان يأخذ به السلف مما قد كان يلائم حياتهم وقد يكون ابعد الاشياء عن حياتنا نحن . فنحن لسنا محتاجين الى «رابطة شرقية» وانما نحن فى حاجة الى تلك الرابطة التى تهيئها لنا الثقافة الحديثة التى يسير عليها العالم والتى تتمشى ومقتضيات الزمن

اما الاستاذ العميد فيكفيه فخراً أنه قد اتاح للقارىء المثقف ان يعرف فى مواضع كثيرة من كتابه — مستقبل الثقافة فى مصر — ليفكر فى تلك العلاقة التى تربطه بتاريخ مصر وما تلقته من ثقافة فى مختلف اطوار حياتها . فنحن فى اشد الحاجة الى الكتب التى تثير فينا الوانا مختلفة من البحث والتفكير وتمحيص الرأى ؟

حليم متري



الحب

لتمثال شوديه

الزامر والراقصة



هذه الصورة منقولة عن زهرية أغريقية يرجع تاريخها الى سنة ٥٢٠ قبل الميلاد اى
قبل الاسكندر المقدونى بنحو مائتى سنة . وهى تمثل زامرا يوقع الحانه
على حركات الراقصة . ولم يكن الزمر والرقص يمارسان فى اغريقيا
القديمة للهو والتسلية فقط . اذ كانا جزءا من الشعائر
الدينية لرب ديونيسيوس . وكان ذلك شأن
جميع الفنون تقريبا حتى الرياضة البدنية

شئون التعليم

١ — التعليم والديمقراطية

٢ — التعليم واللغات

القى المستر إيدن السياسى الانجليزى المعروف خطبة قال فيها ان الهيئة الاجتماعية الديمقراطية هى جامعة نحن جميعا طلبة فيها يتعلم كل منا من الآخر

وهذا يعنى ان الديمقراطية تحتاج على الدوام إلى مستوى عال من الثقافة . وذلك لان الامة الديمقراطية يحكمها ابناؤها بالتصويت الشعبى . فمستوى الحاكمين فيها لايزيد على مستواها . واذا انخفض هذا المستوى فان الكفاءة فى الحكم تنخفض أيضا ويحل العجز محلها . وقد يسع الامة التى يتولى الحكم فيها ديكتاتور ان تقصر فى التعليم ولا تستضر الادارة الحكومية بذلك لأن هذا الديكتاتور هو الذى يختار الاكفاء للحكم للتسلط على الصناعة والتجارة

فالامة الديمقراطية مادامت قد عممت المساواة بين جميع الافراد وفتحت باب الحكم لاى فرد يحصل على رضى الناخبين قد أصبحت بذلك مضطرة الى العناية اكبر العناية بتربية هؤلاء الناخبين حتى لاينخدعوا بالبهرج من الخطب الرنانة فيورثوا العجزة مقاعد الحكم ثم يجنوا الثمرة المرة أما من خيبة هؤلاء العجزة وأما من خيانتهم

فالمدرسة فى الديمقراطية هى الضمان الذى يكفل سلامتها وثباتها . والعقدة التى يجب على كل زعيم ديمقراطى ان يحلها هى : كيف نجعل الشعب مستنيراً حتى لايحكم نفسه بجهالة ؟

وهذه الاستنارة ليست محدودة بحدود جامدة وليس مستواها ثابتا اذهى يجب ان تزداد بزيادة التطور الاجتماعى . فالأمة التى تعيش فى اقتصاديات زراعية ساذجة قد يكفيها ويلائمها نظام ساذج

من التعليم بل نظام ثابت . لأن الأمم الزراعية قلما تتطور لجمود الزراعة التى تمارس .أما الامة التى تقدمت فى الصناعة ويتعدد فيها الانتاج بمختلف الآلات فتحتاج على الدوام الى أن تتجدد فى تعليمها وتزيد مستواه حتى لايتخلف العامة عن الخاصة أو لايكون هذا التخلف عظيما يتيح للخاصة أن تستغل جهل العامة. اذلو اتيح لها ذلك لاصبحت الديكتاتورية مرجحة أو على الاقل ممكنة

وعلى ذلك تحتاج الديمقراطيات الى أن تجعل خط الدفاع الاول عنها المدرسة وسائر الوسائل التثقيفية مثل الصحف والسيناتوغراف والراديوفون . بل هى مضطرة لكى تتفادى من تسلط الفرد أو تسلط الخاصة أن تمىء جميع هذه القوات التنويرية . ولذلك ليس من مصلحة الامة أن تبقى هذه الوسائل فى أسر المآرب التجارية بل يجب أن تكون تحت رقابة الحكومة حتى توجهها نحو التثقيف أو التنوير العام

ومما يبصرنا بقيمة التعليم ان تلك الأمم التى ارتفع فيها مستواه حتى أصبح التعليم الثانوى الزاميا ومجانيا هى تلك الامم التى لاتخشى تزعزعا فى ديمقراطيتها .

ولكن المدرسة — سواء منها الابتدائية والثانوية — ما قيمة التعليم فيها ؟

ان التعليم لايزال فيها على الرغم من التجديد المزعوم قائما على التلقين أو على تعليم نحو عشرة من العلوم والفنون تدرس فى الكتب ويمتحن التلميذ فيها آخر العام لكى يثبت مقدار ماتعلم وليست هذه العلوم العشرة هى كل ماتضطلع به الديمقراطية من ثقافة . ففى العالم نحو ١١٥ علما لايغنى عنها تعلم عشرة ولكن مثل هذا النقص يمكن ان يعوض اذا نظم التعليم فى المدرسة بحيث يجعل التلميذ عندما يتخرج من القسم الثانوى حاصلا على الطريقة ومهيئا بالاستعداد الثقافى لان يزيد تعلمه سائر عمره بما يحبه من صحف و كتب وبما تهىء له الدولة من وسائل التثقيف بالراديوفون والسيناتوغراف

فالأمة الديمقراطية لايمكنها أن تطمئن لان التلميذ الذى تخرج من القسم الثانوى قد عرف عشرة علوم وجاز فيها الامتحان ، بل لأن الرغبة قد انغرست فى نفسه لان يعرف مائة علم فى الستين أو السبعين من السنين الباقية من عمره . فالعقدة الآن هى كيف نغرس هذه الرغبة ؟

ولكن هذا السؤال ينتهى بنا الى أن نقول ان الغاية من التعليم ليس تلقين المواد بل تنمية الشخصية . وهنا تبدو لنا المدرسة — الابتدائية والثانوية سواء — مفلسة . بل نستطيع أن نزيد

على ذلك وان نقول إن الصبي ينمي شخصيته ويزداد عرفانا بالدنيا واختباراً لعصره وهو يسير بين بيته ومدرسته كل يوم اكثر مما يجد فى الدروس التى يتعلمها فى مدرسته . إذ هو فى هذا الشارع يعيش ويختبر ويرى هنا خطرا من الترام وهناك مأساة من الارملة الفقيرة وهو يصطدم بمشاجرة ويسمع عن مظاهرة ويرى الناس فى معايشها والموعظة الحسنة تناديه من بينها . فهو هنا ينمو ويتعلم ولا يتلقن . هنا الحكمة فى الشارع . وهناك فى المدرسة الدروس . وقد حاول رجال التربية الجدد ان يجعلوا التعليم اختبارا بأن تجعل التلميذ يعيش وينمو ويعامل الناس ولكن ليست المدارس كذلك . وعلى ذلك مازلنا نقول ان التلميذ ينتفع بالشارع فى تنمية شخصيته اكثر مما ينتفع بالمدرسة التى تلقنه

* * *

كنا نقرأ كتابا لاحد الادباء الانجليز عن ذكرياته فى ألمانيا فكان مما ذكره يحتج به على تهاون أبناء وطنه أن البواخر الالمانية لم يكن بها ملاح أو أى موظف آخر يجهل اللغتين الانجليزية والفرنسية بل البوارج الحربية نفسها لم يكن بها جندى بحرى لا يعرف على الاقل لغة أو لغتين اجنبيتين . وكان يعزو بعض نجاح الالمان قبل الحرب الكبرى فى ميدان الاسواق العالمية الى عنايتهم باللغات الاجنبية

وقد ذكرنا هذا ونحن نقرأ خطبة الاستاذ محمد حمدى بك عميد كلية التجارة . فانه يرثى لحال خريجى الجامعة فى تقصيرهم عن الاتقان للغات الاجنبية التى يتعلمونها ويعزو هذا التقصير الى أن التأسيس الذى يحصلون عليه فى المدارس الثانوية سيء . وان الضعف يلاحقهم بعد ذلك فى الجامعة ثم هو بعد ذلك لا يستطيع الا أن يأسف لهذه الحال لان اتقان اللغة الاجنبية ضرورة الان من ضرورات النجاح

ولا شك فى صحة أقوال العميد . ونحن نزيد عليه انه اذا كانت الامم الاوربية تعنى بتعليم اللغات الاجنبية فاننا هنا فى مصر يجب أن تكون عنايتنا بهذا التعليم أكثر . وليس هذا من أجل التحصيل الثقافى فقط لان الكلام عنه يعد من النوافل إذ لا نظن أن هناك شابا مصريا يمكنه أن يحلم بدرس صناعة حديثة ويقف على الجديد فيها بالاقتصار على اللغة العربية . ولكننا نكبر من شأن اللغة الاجنبيه فى المزاحمة التجارية التى تواجه الشباب المصريين فى جميع الاعمال الحرة الصغير منها والكبير.

كان غلام القهوة أو المطعم الذى يعرف الرطانة الاجنبية يمتاز على مزاحمه الذى يجهلها . وكذلك البائع الموظف فى متجر كبير أو صغير

والاوربيون فى مصر قد بدا عليهم الاهتمام بتعلم اللغة العربية . ولكن لا بد من أن تمضى السنين الطوال قبل أن نستطيع التفاهم معهم بلغتنا . فنحن مضطرون الى أن نحفزهم الى متاجرنا بالقدرة على التفاهم معهم بلغاتهم . كما أن هناك من الاعمال التجارية فى المستوى العالى ما لا بد منه من اتقان اللغات الاجنبية مثل السمسرة وحركات البورصة والاتجار مع الامم الاجنبية . ومعظم هذه الاعمال الرابحة تكاد تكون الآن وقفا على أبناء الجاليات الاجنبية . بل لقد سمعنا انه ليس فى بورصة القاهرة مصرى . ونعنى مصرى الاصل وليس مصرى الرعوية لان كثيرا من الاجانب قد دخلوا حديثا فى الرعوية المصرية

فن أين نظرنا الى هذا الموضوع من ناحية الثقافة أم الصناعة أم التجارة وسواء ارتفع المستوى لهذه الاشياء أم انخفض فاننا نجد الضرورة الملحة على كل شاب فى مصر يبغى النجاح لان يتعلم لغة أو اكثر من اللغات الاجنبية . بل حتى هنا لا نستطيع الا أن نجد الفائدة فى هذا التعليم لصبيان المدارس الالزامية . فان قليلا من الرطانة الفرنسية أو الانجليزية قد يفتح لهم بابا من العيش فى المدن هو الآن مقفل دونهم لجهلهم بها

فالوطنية المصرية الحقة تدعونا الى العناية باللغات الاجنبية . ويجب أن تجعل البرامج التعليمية بحيث تساعد الطلبة على اتقان هذه اللغات . وقبل سنوات اقترحت فى هذه المجلة أن تدرس مادة واحدة فى المدارس الثانوية بلغة أجنبية بحيث تختلف هذه المادة من مدرسة الى أخرى فهى هنا الجغرافيا مثلا . وهناك التاريخ أو الكيمياء . وذلك لكى يبقى تدريس هذه المادة سائرا باللغة العربية فى معظم المدارس فلا تفقدها الثقافة العربية . وعندنا أن تعليم احدى المواد باللغة الاجنبية هو الوسيلة الاكيدة لتعلم هذه اللغة . ولاقيمة الى جنب هذه الوسيلة بتعليم النحو أو أصول البلاغة أو نحو ذلك مما يعطل اكثر مما يعين

وكان يمكن جرائدنا ومجلاتنا أن تساعد فى هذا التعليم لو أنها خصت عمودا من أعمدتها بقطعة تترجم كل يوم بالانجليزية والفرنسية .

وقد خطت وزارة المعارف خطوة موفقة حين سنت سنتها الجديدة فى ايفاد معلمى اللغة الاجنبية الى أوربا للتكمل كل عام فى اللغة التى يعلمون فى مدارسنا . ولكنها أخطأت حين قصرت هذا الايفاد على بعض . فان معلمى اللغات الاجنبية جميعهم يجب أن يوفدوا بالمناوبة مدى شهرين كل عام الى فرنسا وانجلترا وليس ضروريا أن تتحمل الوزارة كل النفقات اذ يكفيها فضلا أن تساهم فيه فقط . كأن تقوم بأجرة الباخرة ذهابا وايابا مع عشرة جنيهات أو عشرين جنيها اعانة للمعلم الذى يريد فى الاغتراب شهرين كل عام أو كل بضعة أعوام



كثرت مدارس الزواج فى الولايات المتحدة . والاصل فى انشائها تفشى الطلاق . فان مديرى الجامعات وعمداء الكليات يرون ان من واجباتهم الاولى ان يسموا لبناء الاسرة وتماسكها . ومادام التفكك الذى تدل عليه كثرة الطلاق يزداد فان درس اسبابه يجب ان يكون موضوعا تتناوله الثقافه الحديثه فى الجامعات .

وهذه المدارس تشرح للشبان والفتيات الاسباب السيكلوجية للخلافات الزوجية . كما تشرح العوامل المختلفة التى تؤدى إلى الهناء . وموضوعات الدرس هى دخل الزوجين . المرأة المحترفة . الغيرة النسبة المئوية للملبوسات والاطعمة وايجار المنزل الخ

معالجة الحموات . تنمية الشخصية الاولاد . المطبخ . تزيين المنزل . وغير ذلك

تقدم العلوم والفنون

الغازات

اصبحت الغازات حقيقة مرعبة يخشاها الجميع . بل يخشاها المدنى اكثر من الحربى . واليوم تسلمنا اعلانا من احد التجار فى لندن عرفنا منه ان وسائل الوقاية تتعدد وتتفاوت فان القناع الذى يكسو الوجه والذى عرفناه فى القاهرة هو ابسط هذه الوسائل وهو ايضا ناقص فى الحماية ، لان الغازات تؤذى الجلد اينا تمسه . فهم لذلك اخترعوا لباسا مكونا من الجاكته والبنطلون والقفازين والاحذية المصمتة والالشين كل قطعة على حدة بحيث يبلغ ثمن السترة الكاملة نحو اربعة اوخمسة جنيهات

ومن مدة قريبة رأينا صورة فيل صنع له صاحبه قناعا على قدر رأسه وخرطومه وهو محق فى هذا لان الفيل الذى يتنقل فى عواصم العالم لتأدية الالعاب المختلفة فى احدى الفرق قد يتعرض لحرب الغازات ويموت منها وليس من السهل ايجاد غيره لغلاء ثمنه من جهة ولقلة الفيلة المدربة من جهة اخرى

الدندي

يؤكل الدندى فى الولايات المتحدة الامريكية كما يؤكل سائر الطيور عندنا او كما يؤكل الضأن او البقر . لان الجزارين يبيعونه بالرطل للبيوت

ولكن للواحد الصحيح قيمته التى لا تصل اليها الكسور مهما عظمت . ولذلك يزهى الامريكى بالدندى كاملا على المائدة وان فدح ثمنه . وهو يتكلف شراءه من اجل الضيف العزيز او احتفالا بميلاد ابنه او ابنته

ولهذا السبب عنيت وزارة الزراعة الامريكية بإيجاد سلالة جديدة من الدنادى صغيرة الجسم لايزيد وزن الديك فيها على اربعة ارطال او خمسة يمكن المتوسطين ان يشتروا منها دون أن ترهقهم أثمانها . ولهذه الوزارة براعة نادرة فى إيجاد السلالات الجديدة من النبات والحيوان

البيرة

البيرة هى مشروب المانيا كما أن الوسكى مشروب انجلترا والنبيذ مشروب فرنسا والفودكا مشروب روسيا

ولكن يظهر أن الالمان الذين وطنوا انفسهم على اختراع الابدال لكل شىء نجحوا فى اختراع مشروب يصح أن يكون بدلا من البيرة ويمتاز بطعمها وتخديرها ولكنه لايحتاج الى النفقات الكبيرة التى يستهلكها تخمير الشعير

وقد استطاعوا أن يوجدوا البدل من الكوتشوك والبدل من البترول والبدل من السكر . فليس غريبا أن ينجحوا فى إيجاد البدل من البيرة

والكلمة التى يشيع استعمالها فى المانيا هذه الأيام أكثر من غيرها هى «ارساتز» ومعناها البدل

الاستاذ هوكارت

نعى عميد كلية الآداب الاستاذ هوكارت الذى توفى فى الخامسة والخمسين من عمره . وهــذا عمر قصير بالمقابلة الى أعمار الاساتذة . ولكن الاستاذ الراحل قد تمتع بالحياة العريضة التى كان يتمناها ابن سينا وان لم يحظ بالحياة الطويلة

فقد ولد فى الجزر القائمة بين فرنسا وبريطانيا وتعلم فى بلجيكا وانجلترا . ثم عين ناظرا المدرسة فى جزر فيجى فى جنوب القارة الامريكية وهناك رتبت له جامعة اكسفورد معاشا لكى يقوم بأبحاث اجتماعية بين السكان البدائيين والمتوحشين فى تلك الجزر وما يتاخمها

وعين بعد ذلك مديرا للآثار فى جزيرة سيلان . ورأت حكومة سيلان فيه رجلا مجدا فأوفدته الى اكسفورد لكى يدرس اللغة السنسكريتية ولغة سيلان القديمة ولغتى بالى وتاميل . وعاد من اكسفورد

فقصد الى الهند لدرس الهندوكية والديانة البوذية

ولما عاد الى انجلترا اختص بالمحاضرة عن السلالات الانسانية وعين فى سنة ١٩٣٤ استاذا للاجتماع فى الجامعة المصرية (جامعة فؤاد الاول)

فهل حظى أحد بحياة أعرض من هذه الحياة ؟

الجذام

ظهر فى الاجبشيان جازيت مقال مسهب عن معالجة جديدة للجذام يبعث على الامل ليس فى معالجة هذا المرض الوبيل فقط بل فى اتقائه . ففى محلة المجذومين فى سونجاى بولو فى الجزر الملاوية طبيب يختص بدرس هذا المرض يسمى الدكتور ريوى . وقد قام بتجارب جديدة يقول انها أدت الى نتائج مرجية وذلك انه صنع زيتا من جرثومة القمح الى النخالة وحقن به المجذومين فشفى بعضهم وتحسن بعض آخر

والذى هدى هذا الطبيب الى هذا العلاج انه رأى ان المناطق التى لا يؤكل فيها القمح فى الصين يكثر فيها الجذام . فى حين أن منطقة القمح لا يكاد يعرف فيها هذا المرض . وان اليابانيين كانوا يشكون تفشيه قبل أن يأكلوا القمح وقلت العدوى به بعد اتخاذهم القمح . بل قد أثبت التاريخ ان أوربا كانت تعرف هذا المرض بكثرة أيام كانت لا تزرع من الحبوب غير الشوفان فلما عرفت القمح زال المرض أو قل

ونحن نلاحظ فى مصر ان الجذام يفشو بين الفقراء دون الاغنياء . فهل هناك علاقة بين حرمانهم من القمح وبين فشو هذا المرض بينهم ؟

النيون

ضوء النيون معروف للقراء . اذ هو الضوء الاحمر الذى تكتب به الاعلانات فى الليل

وقد اقترح أحدهم أن تكتب أسماء المحطات فى الليل بهذا الضوء حتى اذا مر القطار أو وقف امكن المسافر المطل ان يعرف اسم المحطة فى غير عناء . والاقتراح يستحق العناية من محمود شاكر باشا وهو على كل حال قليل التكاليف

أخبار اجتماعية

دقيق الذرة وصحة الفلاح

اطلعت فى المقطم بعنوان خلط الدقيق بالذرة وضرره بصحة الفقراء وما تتعرض له صحة الفقراء فى العاصمة من جراء خلط دقيق القمح أكثر من ٢٥ فى المئة من دقيق الذرة ورجاء المقطم بأن تشمل عناية محافظ العاصمة هذه المسألة وتشديد الرقابة على أصحاب المطاحن حتى لا يتجاوز كمية الخلط الحد الذى يضر بصحة الجمهور

وبلغ من اهتمام بعض البلدان الاجنبية ان حرمت زراعة الذرة فى بلادها حتى تضمن عدم خلطه بدقيق القمح لعدم احتوائه على مواد غذائية كافية لحفظ صحة الانسان

فأسفت لحالة الفلاح المصرى ولعدم العناية بصحته فان طعامه ١٠٠ فى المئة من الذرة ولم يتحرك مخلوق للدفاع عنه والاحصاءات دلت على ان أغلبهم مرضى بمرض البلاغرا المتسبب من أكل الذرة

ان خلط ٢٥ فى المئة من الذرة على ٧٥ فى المئة من القمح جعلت محافظ العاصمة يهتم بصحة الجمهور فى عاصمة الديار مع أن فقراء العاصمة ميسور لهم أكل جانب من الزيتون أو الطعمية أو الفول أو الحلاوة الطحينية. وهذه المواد ميسورة فى العاصمة ولا وجود لها فى الريف وفيها غذاء كاف يعوض الجزء المفقود من خلط دقيق الذرة بالقمح

فما أسعدكم يافقراء العاصمة وما أشقاكم ياسكان الريف يا مهضومى الحقوق فأنتم معظم السنة فى شبه مجاعة حيث لا يوجد قوت اليوم وان وجد فهو دقيق الذرة وقليل من الملح تتجرعون معه مرض البلاغرا قطرة قطرة فما أقربكم من النهاية المحتومة : المرض فالجنون

فيا عجبا يهتم محافظ العاصمة بالمسؤولية الملقاة على عاتقه نحو سكان العاصمة ولا تهتم الجهات المسؤولة عن صحة سكان الريف وهم تسعة أعشار القطر وعلى سواعدهم القوية تتكىء ميزانية الدولة

الفلاح المصرى مسكين فهو فريسة الجوع فى معظم أوقات السنة وفريسة البلاغرا اذا تيسر له القوت. وفريسة الانكلستوما والبلهارسيا من الماء

فما أشقاك أيها الفلاح المنكوب لقد حرمت كل لذة الالقة اداء الواجب فأنت تعمل بغير توان وتخرج من الارض خيراتها ينعم بها غيرك من شعب وحكومة فأنت كالشمعة تحترق لتنير لغيرها

لا فائدة من اقامة المستشفيات لعلاجك والعلة موجودة. خير منها أن تعطوه غذاء ليقاوم المرض فالوقاية خير من العلاج

لقد دلت الاحصاءات فى المدارس الالزامية على أن ٧٠ فى المئة من تلاميذها مرضى وان بعضهم يغمى عليه فى وقت الرياضة من الجوع فهل من علاج لهذه الحالة

جابر موسى

كابيك

كاريل كابيك هو الكاتب التشيكوسلوفاكى الذى مات فى الشهر الماضى ولهذا الكاتب كلمات تستحق الذكر وخاصة فى الظروف الاوربية القائمة واليك بعضها :

— تعقد المعاهدات لكى تراعيها الامم الضعيفة

— نجحت مساعى السياسيين النجاح التام فى ابقاء القلق العام قائما بين الدول

— فى رأى هؤلاء السياسيين أنه يجب لصالح السلام أن تتخذ اجراءات حازمة ضد ضحايا الاعتداء

— من الحكم التى يعمل بها السياسيون أنه يجب تحديد مكان النزاع . وهذا يعنى ترك الفريسة لما قدر لها

— فى العالم كثيرون يحبون أن يدفئوا طعامهم على الحريق العام

— لم تبع الامم الديمقراطية تشيكوسلوفاكيا وانما هى سلمتها بلا ثمن

ابن سينا

كان ابن سينا يقول اللهم ارزقنى الحياة العريضة . وعنده أن الحياة تقاس بالطول والعرض .

فهى فقد تكون طويلة بعدد السنين ولكنها قد لاتكون مع ذلك عريضة . إذ لا يتمتع صاحبها إلا بالحياة النباتية أو دقات القلب فقط

ولكن الحياة العريضة هى التى يجنى منها صاحبها الاختبارات والمتع المختلفة

وهذا دعاء حكيم

دنيكن

دنيكن هو القائد الروسى الذى كان يحارب الشيوعيين بعد سنة ١٩١٧ ويقود الروس البيض . وعلى الرغم من مساعدة فرنسا وبريطانيا له بالمال والرجال فانه عجز عن الانتصار . وهو بالطبع لايزال عدواً لجمهورية السوفيت

ولكن دنيكن يؤمن بالمثل القائل : « أنا وابن عمى على الغريب » فانه أعلن لحكومة روسيا أنه مستعد لمحاربة ألمانيا اذا حاولت مع تشيكوسلوفاكيا أن تخترق اوكرانيا

واوكرانيا هذه هى اقليم كبير يقع فى الجنوب الغربى من روسيا ويبلغ سكانه نحو خمسين مليونا بعضهم تحت سيادة تشيكوسلوفاكيا والبعض تحت سيادة رومانيا ومنهم عدد كبير فى هنغاريا وبولندا وأعظم ما تمتاز به أوكرانيا هو القمح الذى يجود فى أرضها ويجذب اليها المطامع

والمانيا منذ الآن تدعو الى استقلال اوكرانيا أى فصلها من روسيا . وعندئذ لاتتمتع اوكرانيا بالاستقلال فقط بل أيضا بالنصائح الالمانية

الصين

القى السفير الصينى فى لندن خطبة قال فيها كلمة تستحق الالتفات فى شأن الحرب القائمة فى الصين الآن

قال انه عند ما كان يتلاكم اثنان فى الحلبة يحاول احدهما ان يلكم الاخر فى ذقنه فاذا ناله فيها اوقعه وانتصر عليه . وميزة الصين انها ليس لها ذقن

وهو يعنى بالطبع ان اليابان مهما تتوغل فى الصين لن تهزمها

الديمقراطية

يقول معجم وبستر الانجليزى ان « الديمقراطية هى حكومة الشعب » أى انها الحكومة القائمة للشعب الذى يحكم نفسه بدلا من ان يتولى الحكم فيه فرد مستبد او طبقة معينة

فالمنطق يدل اذن على اننا اذا شئنا ان نرقى بالديمقراطية فالسبيل الوحيد الى ذلك هو أن نرقى بالشعب أى يجب ان نعلمه ونعمم بين افراده المساواة فى فرصة العيش

السلام

قرأنا خبرا عن المرحوم اتاتورك دلنا على ان هذا الرجل العظيم لم يكن بطلا فى الحرب فقط بل كان ايضا من ابطال السلام فانه بعد ان انتصر على اليونانيين واستولى على ازمير وطردهم من آسيا الصغرى عقد اتفاقا مع الحكومة اليونانية اشترط فيه على نفسه أن على تركيا الا تحتفل فى المستقبل بانتصارها على اليونانيين . وفى ذلك ما لا يخفى من الاحترام والرغبة فى عدم جرح كرامة هذه الجارة وردت الحكومة اليونانية هذه التحية بمثل هذا الشرط على نفسها وكان هذا العمل من الحكومتين خطوة موفقة فى خدمة السلام

كاجاوا

كاجاوا هو زعيم المسيحيين فى اليابان . وقد التقى أخيرا بغاندى فى الهند . فهمزه هذا همزة تلوى منها كاجاو

وذلك أن غاندى سأله : ما هو شعور الشعب اليابانى نحو الحرب القائمة فى الصين

فقال كاجاوا : انى كافر بالحرب . وأود أن أعرف رأيك فيما كنت تفعله لو كنت مكانى

فقال غاندى : كنت أصرح بما أعتقد وأدعو الى الكف عن الحرب . ثم تأمر الحكومة بقتلى بعد ذلك وتقتلنى

وعندئذ سكت كاجاوا

الاشتراكية

في التلغرافات الاخيرة ان الحكومة الالمانية ابلغت جميع مصانع الاتومبيلات انها منذ الان لن يحق لها اي المصانع ان تختار الطراز الذي تصنع به اتومبيلاتها. وأن هذا الحق تحتفظ به الدولة وهذا الخبر يدل القارئ على ان المانيا تسير بسرعة نحو الاشتراكية. اي ان الدولة هي التي تتولى — دون الفرد — تقرير الصناعات وتسيير التجارة والاشراف العام على النشاط الاقتصادي. فالصانع في المانيا الآن ليس حراً في اختيار الطراز الذي يريد أن يخرج سلعته على غراره بل هو يجب عليه أن يخضع في ذلك للحكومة. كما انه ليس حرا في تعيين الثمن ولا في مقدار الربح الذي يريد ان يناله من عمله

السفور

لم يعد السفور «مسألة» في مصر، لان آنساتنا وسيداتنا يخرجن الآن سافرات ولكنه مشكلة معقدة في بعض الاقطار الاخرى. فإن السافرات قد كبسن في عمان عاصمة شرق الاردن او «اردنية» كما يجب ان يسمى هذا القطر. فقد كان من الحكومة الان ستت قانونا بمعاقبة كل آنسة او سيدة تسير سافرة بغرامة قدرها خمسة جنيهات. فاذا عادت صارت الغرامة عشرة جنيهات

والغرامة على كل حال خير من ماء النار. ففي دمشق قمع الجمهور حركة السفور بين الاوانس والسيدات السوريات بالقاء ماء النار عليهن. فعدن كلهن بلا استثناء الى اليشمك الجبل الخفيف

في السياسة

ويكهام ستيد كاتب معروف كان يوما ما رئيس التحرير لجريدة التيمس الانجليزية وهو يكتب المقالات ويؤلف الكتب في المسائل السياسية الكبرى. وقد ألف كتابا جديدا عن الدكتاتوريات الاوربية ابتدأه بقوله:

«الله هو الذي خلق الانسان، والانسان هو الذي خلق الدولة»

وكتب ايضا. «الانسان غاية وليس وسيلة. والدولة وسيلة وليست غاية».

ولم يفه أحد بأحسن من هذا الكلام عن الدكتاتوريات الحديثة التي تقدس الدولة وتجعل منها كل شيء وتلغي الوجود المعنوي للفرد

أخبار اقتصادية

الاسمدة الكيماوية وانحطاط التربة

ثبت بالاحصاءات انه ليس فى الدنيا قطر يستعمل من الاسمدة الكيماوية مثلما نستعمل نحن. فقد اقبلنا على هذه الاسمدة اقبالا عظيما جدا بحيث تتخلف عنا الامة التى تلينا فى مقدار الاستهلاك تخلفا كبيرا حتى المانيا التى تصنع معظم الأسمدة الكيماوية لا تضع منها فى الفدان مثلما نضع. ولكن ازدياد الاستهلاك عندنا لهذه الأسمدة قد تمشى تماما مع قلة الانتاج فى التربة المصرية ومع تفشى الآفات الزراعية. ونحن قد جرينا على تعليل هذا الانحطاط بتشبع الارض بالمياه للرى الدائم وبقلة المصارف

وليس هناك شك فى صدق نظرنا فى هذا التعليل. ولكن يجب مع ذلك أن ننظر إلى هذا الموضوع من زاوية أخرى قد نبهتنا اليها مجلة انجليزية هى اسبكتاتور كبرى المجلات الانجليزية الاسبوعية

فقد كتب فيها كاتب زراعى مشهور هو المستر بنسوزان مقالا ينذر فيه بالخطر الذى ينتظر من تعميم المخصبات الصناعية أى الاسمدة الكيماوية. وكذلك من استعمال السموم المختلفة لقتل الطفيليات التى تعيش على الخضراوات والفواكه. وهو يقول ان استعمال هذه الاسمدة يجهد الارض فتبذل من قوتها أكثر مما تتحمل فيسرع النبات فى النمو ثم يعقب ذلك خمود. لان النشاط السابق كان بمثابة مايبذله الرجل المجهود حين يستعين على اداء عمل ما بتنبه شديد فهو يعمل يومه ثم يستولى عليه الخمود بعد ذلك. وليس هذا فقط بل ان النباتات التى تنمو بفضل هذه الأسمدة الكيماوية، ثبت انها عرضة للآفات أكثر من غيرها كما انها لاتبقى بنضارتها مدة طويلة بعد قلعها أو قطفها. وكذلك لحم الماشية التى تعيش على المراعى التى سمدت بهذه الأسمدة الكيماوية هو أقل صلاحا للطعام وأقل تحملا للبقاء

من اللحم الذى تتغذى ماشيته على المراعى الطبيعية . ولهذا السبب فشت فى العالم الزراعى فى جميع الأقطار دعاية جديدة ضد هذه الأسمدة والاقتصار على الأسمدة العضوية أى متخلفات البهائم من روث أو غيره . لان هذه الاسمدة ترد الى الارض عناصر صغيرة متعددة ولكنها مفيدة . وهى أشبه بتلك المواد التى نسميها الفيتامينات فى الغذاء الانسانى فانها على قلتها يؤدى غيابها الى شر الامراض

وهذا الى أن بعض السموم التى تستعمل للفتك بالحشرات والطفيليات يعلق بعضها بالنباتات . ومعظم هذه السموم قاتلة للانسان كما انها قاتلة للطفيليات . وقد اضطرت وزارة الزراعة فى انجلترا الى أن تنبه جميع المزارعين الى ضرورة غسل الخضراوات والفواكه التى نضحت ببعض هذه السموم لئلا ينتقل خطرها الى المستهلكين . وخاصة منها مركبات الرصاص والزرنيخ والنحاس

وقد أسست بالفعل مزارع لا يستعمل فيها غير الأسمدة الطبيعية المتخلفة عن الحيوان والنبات . ويقول الكاتب انها جاءت بأوفر الغلات وأجودها

ومن يتحدث الى الفلاحين فى مصر يجد فى نفوسهم بعض الشك عن الاسمدة الكيماوية وانها هى العلة لتكاثر الآفات فى الزراعة . واختبار كل مصرى اشتغل بالزراعة يبعثه على احترام آراء المزارعين الذين يدركون أحيانا بالسليقة — وهى ثمرة الاختبار الطويل — ما يدركه العالم فى معمله أو مشتله . ونظرية الفيتامينات التى ثبتت قيمتها فى غذاء الانسان تثبت أيضا قيمتها فى غذاء النبات . وثبت انها تستفاد من روث البهائم وسائر متخلفاتها . وكما لا يمكن الانسان أن يعيش على مواد كيماوية أو على لحم أو نبات محفوظ عقم بالنار حتى زالت جميع صفاته الحيوية ؛ كذلك النبات ثبت انه فى حاجة الى مواد عضوية وان الغذاء الكيماوى وحده لا يكفيه . وهذه المواد العضوية هى للارض بمثابة الطعام الحى الطازج لنا . بل نستطيع أن نزيد على ذلك وان نقول ان الفواكه والخضراوات وكذلك لحم الماشية التى تعيش على المراعى التى لم تسمد بغير الاسمدة الكيماوية كل هذه تعد فى هذا النظر العلمى الجديد غذاء ناقصا يضر الانسان

ونظن ان وزارة الزراعة عندنا تحسن اذا هى أولت هذا الموضوع عنايتها . وخاصة لاننا — كما قلنا — اكثر أقطار العالم فى استهلاك الاسمدة الكيماوية

السكان

فى الوقت الذى تشكو فيه بعض الاقطار الاوروبية كثرة سكانها وحاجتها الى المستعمرات التنفيس عنها ترى هذه الاقطار بالذات تؤدى المكافآت لتشجيع الزواج وكثرة التناسل . وفيما يلى عدد السكان فى الكيلومتر المربع فى الاقطار التالية

اليابان	١٨٦
المانيا	١٣٥
ايطاليا	١٤١
هولندا	٢٤٧
بلجيكا	٢٧٤
فرنسا	٧٦

وقد كان آخر احصاء يدل على ان السكان يبلغون بالمليون فى :

الجمهورية السوفيتية	١٧١	
المانيا	٧٩	(مع النمسا والسوديت)
بريطانيا	٤٩	
ايطاليا	٤٣	
فرنسا	٤١	
بولندا	٣٥	

عتاقة

كتبت مجلة افريكان ورلد الانجليزية مقالا عن السياحة فى مصر التفتت فيه التفاتا خاصا الى السويس وجبل عتاقة . فقد قالت ان هذا الجبل الذى يقارب ارتفاعه الف متر ولاتزيد المسافة بينه

وبين السويس على ربع ساعة بالاتومبيل هو الجبل الوحيد الذى يمكن استغلاله للسياحة فى مصر. وهى هنا بالطبع تنسى ان لنا جبالا عالية فى سينا . ولكن بعدها يحول دون استغلالها فى الوقت الحاضر

وقد برزت السويس اخيرا فى عالم السياحة المصرية . فان ميزاتها من حيث الانتفاع بها مشتى ومصيفا تزداد قيمتها فى عين الجمهور . ولذلك يكثر الاقبال على زيارتها . وزائر السويس يمكنه ان يرى المنزل الذى نزل فيه نابليون وان يتسلق جبل عتاقة وان يرى البواخر الاقيانوسية تمخر فى القناة . ويسعى محافظها الاستاذ احمد راسم بك فى ان يجعلها مشتى للقاهرة قليل التكاليف كثير المباهج

الاقتراض

كثرت تكاليف الدول للاستعدادات الحربية او للاصلاحات الاجتماعية ولذلك لا يكاد يكون فى العالم المتمدن دولة غير مدينة او لا تزيد ديونها لكى تقوم بالنفقات العظيمة الجديدة . والدول تبتكر الطرق المغرية لتشجيع الجمهور على معونتها . ومما تفعله حكومة اسوج انها تقترض بلا ربا . وذلك انها تصدر اسهما للقرض الذى تنوى عقده قيمة السهم خمسون كرونا اى نحو ٢٤٥ قرش وهذه الاسهم ترد لاصحابها بقيمتها الاصلية بعد سنوات

ولكن مع كل قرض تباع اوراق يانصيب على هذه الاسهم . وهى تختلف من ١٠٠٠٠ جنيه الى خمسين قرشا وقد بلغت هذه الاوراق فى القرض الاخير ٢٦٠٠٠ ورقه . وهذا هو ما يغرى الجمهور بالاكتتاب

ارقام فلكية

« الف مليون » من العبارات التى لم نكن نذكر الا فى الاحصاءات الفلكية . ولكنها مألوفة فى ايامنا للنفقات الفاحشة التى تنفقها الدول . فان ميزانية بريطانيا الف مليون جنيه أى انها تنفق اكثر مما ننفق نحن ثلاثين ضعفا . ومع هذا لا يزال عندها مليونان من العمال المتعطلين

وقد زال الامل تقريبا فى استخدام هؤلاء العمال . لان المصانع الحربية تعمل على اقصى سرعتها وبعضها يعمل ٢٤ ساعة فى اليوم بثلاث مناوبات للعمال . فاذا اقفلت هذه المصانع فان عدد المتعطلين يصل عندئذ الى ثلاثة او اربعة ملايين

وقد اصبح التعطل لازمة من لوازم الحضارة الصناعية . وقد اطلق احد الاقتصاديين على المتعطلين اسم « الجيش الاحتياطى للصناعة » وعلى هذا الاساس يؤجرون على تعطلهم كأنهم يعملون

القطن

كان العام الماضى اسوأ الاعوام على التجارة الانجليزية الخاصة بالمنسوجات القطنية منذ ٨٨ عاما فان صادرات هذه المنسوجات نزلت الى اقل مما كانت عليه قبل سنة ١٨٥٠

ويجب التسليم بان جزءا من هذا الكساد يعزى الى ظهور امم جديدة مثل اليابان تستغل انخفاض الاجور عند عمالها وانخفاض قيمة نقدها لطرد المنسوجات الانجليزية . وقد نجحت فى ذلك الى حد بعيد . ولكن بعض هذا الكساد ايضا يعزى الى ظهور منسوجات اخرى تقوم مقام القطن والصوف مثل الريون غيره

الاسهم

لا يمكن تأسيس شركة فى مصر الا اذا كان ثمن السهم فيها لا يقل عن أربعة جنيهات . وهذا القانون قد مضى عليه أكثر من أربعين سنة . وهو عقبة فى تأسيس الشركات التى تحتاج اليها فى نهضتنا الاقتصادية الحاضرة

ومن الغريب انه يمكن الانجليز أن يؤسسوا الشركات فى انجلترا بما لا يزيد ثمن السهم فيها على عشرين أو ثلاثين قرشا مع انهم اقدر منا على شراء الاسهم الغالية

ونحن نرجو ان يعاد النظر فى هذا القانون وان يسمح بتأليف الشركات المساهمة على أساس القانون الانجليزى الحاضر لكى نشجع الجمهور على التعاون التجارى الذى تحتاج اليه البلاد اشد الحاجة

كتب الشهر الجديدة

مصر أرض النيل

هو كتاب وضعه باللغة الفرنسية المسيو فرنان ليريت . وهو ليس صورة خاطفة لهذا الوادى ينقلها سائح يقضى الاسابيع أو الاشهر وانما هو درس — بالقلب اكثر من العقل — لهذا القطر وضعه أجنبي بعد أن قضى عشرين سنة فى مصر . وهو بعد هذه السنين يحب مصر وأرضها وأهلها وشمسها وآثارها وألوانها الطبيعية والانسانية . ولكنه يحب الفلاح اكثر مما يحب الافندى وتسمع فى صوته نبرة الاسف لان اللون المحلى يزول رويداً امام الحضارة الحديثة التى تكتسحه ونظن أننا نستطيع أن نتسامح معه فى ذلك لاننا نعرف أن خان الخليلي مثلا أرجح خصماً يستطرفه الاجنبي ويحب بقاءه فى حين هو لايبالى الشارع الحديث تنتصب على حافتيه المبانى الضخمة الجديدة . ولكنه على حق حين يقول أن مصر الحديثة تكشف عن روحها فى الريف والقرى اكثر مما تفعل ذلك فى المدن الكبرى مثل القاهرة او الاسكندرية . وهو يرى ان مصر خاضعة لثلاثة عوامل تكيف حياتها هى النهر والشمس والرمل . ويصف اثر كل منها ثم يصف مصر السفلى ومصر العليا وينقل القارى صورا مختلفة منهما . وهو يقارن بين الحياة القديمة التى لا تزال قائمة بين الفلاحين وفى الاحياء الوطنية من المدن وبين الحياة الجديدة التى تتمثل فى المدارس والبنوك وحركة الاتومبيلات ، والمصرى القديم هنا هو الفلاح يكد فى أرضه ، والمصرى الحديث هو الموظف والطالب يعمل كلاهما بعقلية غربية . وهو يخص القاهرة بما يقرب من تسعين صفحة ويخص الاسكندرية بست وثلاثين صفحة ويختم الكتاب بفصل عن ابناء النيل يشرح فيه اخلاقهم وقد الحق بكتابه خارطتين وأربعا وعشرين صورة ، ومن الحسن أن نرى أنفسنا كما يرانا غيرنا . ولو ترجم هذا الكتاب الى العربية لافاد من هذه الناحية كثيرا

هكذا تكلم زرادشت

هو كتاب مشهور الفه فريدريك نيتشه الفيلسوف الالمانى ونقله الى العربية الاستاذ فيلكس فارس . وليس اسم نيتشه جديدا على قراء اللغة العربية وان لم يترجم اليها شيء من مؤلفاته . فان أدباءنا اعتمدوا عليه كثيرا وتأثروا به . وقد عاش فى أواخر القرن الماضى فكانت حياته كابوسا للبعض ورؤيا للآخرين . فانه زعزع كثيرا من العقائد المحبوبة وكشف عن حقائق دميمة فى الطبيعة البشرية . ولكن الدمامة هنا اعتبارية وليست مطلقة . وكانت مهمة نيتشه التى أرصد لها حياته ان يبحث عن أصل الاخلاق والفرق بين الفضيلة والرذيلة . وقد استطاع بما كان له من ثقافة واسعة فى تاريخ الاغريق ولغتهم وأدبهم ان يرد الاخلاق الى فطرتها الاولى وان ينتهى الى أن الفضيلة هى الوسيلة التى يتوسل بها الى القوة والسيادة . وقد احتاج قبل أن يصل الى هذه النتيجة الى أن يخاصم الجميع والى أن يبنى نظاما فلسفيا جديدا يقول فيه الاستاذ فيلكس فارس :

« ان محور الدائرة فى فلسفة نيتشه انما هو ايجاد انسان يتفوق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عده التاريخ عظيما بين الناس قائلا ان الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد . وان لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوق على ذاته وكل ما فى وسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الاعلى هو ان يتشوقوا اليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الازمان »

وهذا الانسان المتفوق ليس « سبرمانا » بيولوجيا على النحو الذى يتخيل برناردشو . اذ هو لن يتفوق بجسمه وعقله وانما باخلاقه . وان كنا فى بعض الفترات نلمح من نيتشه شيئا قريبا من هذا الانسان البيولوجى . كما هى الحال مثلا عند ما يقابل بين الانسان والقرد . ولكنه فى أعماق نفسه صوفى ينزع النزعة الصوفية الالمانية . فى حين ان برنارد شو انجليزى ينزع النزعة العلمية الانجليزية فالتفوق عند نيتشه هو تفوق النفس التى ترتفع الى ماوراء العرف فى الاخلاق . اما عند شو فهو التفوق فى الخلية التى يبنى منها جسم الانسان

وقد لمحت وأنا أقرأ « هكذا تكلم زرادشت » ان المترجم قد تخطى مهاوى الخطر . ولذلك يمكن القارىء العربى ان يقرأ وهو لا يخشى الاصطدام وان وجد ما يعثره فى الطريق . والعثرة أحيانا تنبه الـادر . ولكن هل من الرأى أن يترجم هـذا الكتاب الذى يتمادى فيه المؤلف فى انايل

والذى يسوده الروح الشعرى قبل تلك الكتب الاخرى التى توضح لنا فكرة نيتشه أى الفكرة الاساسية فى أصل الاخلاق ؟

الى أقول هذا لانى أشك فى أن القارىء العربى الذى لم يسمع قبل الآن بنيتشه والذى لم يألف البحوث الفلسفية عن الاخلاق يمكنه أن يتابع المؤلف فى الغابة الكثيفة التى يشقها وهو يحاول بلوغ النور خلال ظلماتها . ولكن المترجم وضع مقدمة منيرة وان كانت موجزة . وهو يهنأ باخراج هذا الكتاب الى اللغة العربية فى لغة رشيقة أنيقة واضحة

الايام المئة

الاستاذ محمود عزمى كاتب معروف باسلوبه التلغرافى وعبارته المبلورة . وهو فى هذا الكتاب «الايام المئة» يسرد علينا تاريخ على ماهر باشا وخاصة تلك الايام التى تولى فيها رياسة الوزارة فى سنة ١٩٣٦. وقد حوى هذا المجلد الصغير — ١٣١ صفحة متوسطة — وثائق او لباب الوثائق بعد أن حذف كل حشو وجردت كل زيادة . لذلك يشبه المجلد نوته يكتبها الصحفى أو السياسى للاستذكار . وقد خص المؤلف ٤٥ صفحة وصف فيها نشأة على ماهر باشا وتربيته . ثم اشتغاله بالمحاماة فالقضاء . ثم اشتراكه فى الحركة الوطنية منذ سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٦

وقد يلائم ان ننقل هنا ما ذكره المؤلف عن اختبارات الاستاذ على ماهر المحامى . فقد « جاءه يوما محام يبلغه فى الجلسة انه قد تم التفاهم بين موكليهما الذين يتكون منهم طرف الخصومة على التأجيل الى ما بعد فصل الاجازات . وطلب اليه أن يتقدم معه الى القاضى بهذا الطلب . فقبل . ثم اتضح له انه لم يكن هناك اتفاق على شىء مما أخبره به الزميل فعاد اليه ملاحظا . فلم يكن الا ان أجاب : « الذنب ذنبك . لماذا صدقتنى ؟»

«ثم حدث أن وقف محامى خصوم موكلى على ماهر يطلب التأجيل . ويقول ان هناك مستندات جديدة تستدعى هذا التأجيل . ويمد يده باوراق يقول انها تتضمن هذه المستندات و كان على ماهر يعرف انه ليست هناك مستندات غير التى أودعت من قبل . و كان قد تلقى درسا عن أخلاق الزملاء من ذلك الحادث الاول . فنهض وامسك بيد الزميل وطلب الى المحكمة ان تتسلم منها المستندات . وأخذت المحكمة الاوراق التى كان المحامى يمد يده بها . فوجدتها بيضاء . ونطق القاضى بالتأجيل فاحتج على ماهر على هذا التصرف وانسحب من الجلسة صائحا أعجب لمحام يكذب . وأعجب لقاض يصادق على الكذب»

مبادئ التحليل النفسي



تأليف بول باروفيل

وترجمة الدكتور صبري جرجس

مقدمة الترجمة العربية

دفعني الى ترجمة هذا الكتاب عاملان

الاول : قصور اللغة العربية قصورا واضحا فى الكتب الخاصة بعلم النفس . وقد أخذ هذا العلم يقفز قفزاته السريعة منذ حوالى أربعين سنة ، أى منذ بدأ فرويد ينشر على العالم اراءه ونظرياته عن الاضطرابات العصبية والنفسية وعن علاقة الغريزة الجنسية بمختلف نواحى النشاط أو المرض فى الانسان . منذ ذلك الحين أخذ علم النفس مكانا مستقلا بين مختلف العلوم الانسانية بعد أن كان فرعا لا غير من فروع الفلسفة ، ومنذ ذلك الحين أخذت البحوث فيه تتصل ، وأخذت النظريات عنه تدرس ، وأخذت الكتب تؤلف وتنشر ، ونال من عناية العلماء والباحثين ما لم ينله أى علم آخر فى مثل هذه الفترة الوجيزة وظهرت عنه مئات الكتب بمختلف اللغات ، الا اللغة العربية فلم يكن حظه منها الا بضعة كتب قليلة ، هى على أى حال محاولات مشكورة من بعض أبنائها للمساهمة بقسط فى هذا الميدان من ميادين الادب العلمى

والثانى : هو أن فى هذا الكتاب مميزات قل أن تجتمع فى كتاب علمى واحد . فانه على الرغم من تناوله موضوعا معقدا كثير السراديب شائك التفاصيل ، سهل الاسلوب واضح العبارة قريب الى ادراك القارىء ذى الثقافة العادية . هذا مع احتفاظه بالروح العلمية على الدوام ، وخلوه مما يجافى الحقائق العلمية المعروفة — وليست هذه بالميزة القليلة فى كتاب

وسيشعر قارؤه بان كاتب هذا الكتاب تابع مخلص من أتباع المدرسة الفرويدية . وليس فى هذا ما يضيره أو يغض من قدره ، فقد كانت المدرسة الفرويدية ولا تزال — برغم كل الانتقادات التى وجهت اليها ، وبرغم سجل التعديلات التى ادخلت على تعاليمها — هى أهم المدارس فى السيكلوجية الحديثة وأوسعها نفوذا وأكثرها انصارا وأقربها الى الاقناع فى تعليل كل الظواهر الخاصة بنظرياتها .

وحسبها فخرا على الدوام ، وحسب صاحبها ان له فضل الرائد في هذا الميدان المجهول من ميادين الكشف الانسانى .

وقد تحاشينا ذكر مصطلحات علمية تثقل على الفهم الا مادعت اليه الضرورة ، وتسهيلا للقارىء اثبتنا فى أول الكتاب قائمة بالمصطلحات الواردة فيه مع شرح موجز يساعد على ادراك معناها . وقد تعين القارىء فيما يطالعه من الكتب الاخرى الخاصة بهذا الموضوع القريبة منه .

فاذا استطاع هذا الكتاب أن يعين القراء على تفهم العوامل التى تؤدى الى حدوث الاضطرابات العصبية والنفسية الدائمة الانتشار فى الحياة اليومية ، واذا استطاع أن يقرب من أذهانهم مبادىء التحليل النفسى ، وان يساعدهم على حياة أوفر بالصحة وادنى الى تحقيق الهدوء والسعادة فتلك غايتنا منه . وذلك حسبنا والسلام ؟

صبرى جرجس

مقدمة المؤلف

الغرض من هذا الكتاب هو ان يقدم القارىء بحثا عن التحليل النفسي — نظريته وطريقته ومداه — بأسلوب سهل يقربه الى الاذهان دون دراسة منتظمة سابقة فى علم النفس او العلاج النفسي .

والطالب الذى يريد دراسة هذا الموضوع ، بل الذى يريد الالمام بنواحيه الهامة فقط ، لن يكفيه فى ذلك كتاب واحد ، بل سيكون عليه ان يقرأ فيه كتبا كبيرة متنوعة ، يخرج من كل منها ببعض المعلومات ، لان كل كتاب سيفترض ان قارىء على المام تام بالتفاصيل الهامة من مطالعاته السابقة . هذا فضلا عن ان اغلب هذه الكتب تستعمل مصطلحات علمية عسيرة الفهم ، مما يرغب القارىء المبتدىء عنها ويحد من مقدار انتفاعه منها ، بل ويعطيه فكرة غامضة او خاطئة عن كثير من الآراء الواردة فيها . وقد حدثنى عدد غير قليل من الاطباء فى هذا الموضوع ، وشرحوا لى الصعوبات التى يصادفونها فى فهم حتى ابسط المبادىء الاولية عنه ، ومن ثم شعرت ، بضرورة وجود كتاب — جامع وبسيط معاً — فى الموضوع يكون بعيدا بقدر الامكان عن المصطلحات العلمية الصعبة ، وفى الوقت نفسه ضمنته قائمة تشمل كل المصطلحات الكثيرة الاستعمال مع شرح موجز لمعناها

وقد ابحت لنفسى — فى الامثلة الاولى التى ذكرتها لايضاح الخواص المميزة لبعض الاضطرابات العصبية النفسية — ان اخترع حالات مثالية ، او اعدل فى تفاصيل بعض الحالات المعقدة ، حتى تكون الاراء الواردة فيها واضحة تمام الوضوح لاولئك الذين لم يسبق لهم قراءة شىء فى هذا الموضوع . كما انى فى الفصول الاولى الخاصة بالعقل الباطن اقتصرت — لنفس السبب — على امثلة قليلة سهلة ، على الرغم من ان الاستعانة بامثلة اكثر تعقيداً كان يجوز ان يعطى القارىء فكرة ادق عن بعض النظريات . وهنا يجب ان انبه ان هذه الامثلة لاينبغى ان تؤخذ كبراهين للنظريات المذكورة ، لان هذه البراهين يمكن ان يلتمسها القارىء فى الكتب الكبيرة . اما هذه الامثلة فليست

الا طريقه لشرح نظريات معقدة بصورة سهلة مبسطة .

ولا بد ان الغالبية من القراء يعرفون ان فرويد هو مبتدع نظرية التحليل النفسى وطريقته . ولكن هذا لايمنع ان هناك بعض نقط فى تعاليمه يخالفه فيها الكثيرون ، ولا يجدون من تفسيره لها برهانا كافيا لاقتناعهم بها . وساذكر بعض هذه النقط بايجاز فى هذا الكتاب . وقد يخطر للبعض ان يسلم تسليما تاما ومطلقا بكل الاراء التى يضمنها احد كبار العلماء كتاباً له ، ولكن فى هذا الاتجاه خطورة كبيرة لانه يعوق دون البحث عن الحقيقة . فان كل عالم مهما سمت مكانته قد يجد فى بعض الاحيان ادلة لاتنطبق على نظرياته تمام الانطباق فيحاول ان يتجاهلها ، او يحاول دون وعى منه ان يزيفها لكى يجعلها منطبقة على ارائه . وسيرى القارىء فى هذا الكتاب ثلاثة أمور هامة لا تستطيع ادلة فرويد ان تقنعنى بها : اولها نظرية القضاء المطلق فى تعارضها مع الادارة الحرة . وثانيها مايقرره من ان كل الاحلام لها نفس الصورة ال[illegible] . وثالثها نظريته القائلة بان الرغبة الجنسية هى الرغبة الاساسية التى تكمن وراء كل الرغبات والانفعالات الاخرى . ولكن القارىء سيرى ايضا ان هذا الخلاف لن يمس باى صورة من الصور قبولنا لطريقته فى التحليل النفسى ، او لنظريته عن الاحلام فى اغلب الحالات ، او لارائه فى سبب معظم الامراض العصبية والامراض العصبية النفسية . قال فرويد يجب ان يعزى الفضل دائما فى اكتشافه ماسيكون على الارجح احد العوامل الهامة فى التطور المستقبل للنوع البشرى . وسيخصص الفصل الاخير فى هـــذا الكتاب لبحث الطرق التى يمكن ان يكون التحليل النفسى بوساطتها ، لاعاملا فى شفاء الاضطرابات العصبية للافراد وحسب ، ولكن فى اكتشاف المواد الضارة فى النزعات العقليه على وجه عام ايضا ، وبذلك نكون قد تقدمنا خطوة نحو اصلاح هذه النزعات ؟

بول باوز فيلد

قائمة بالمصطلحات العلمية الواردة فى الكتاب

Abasia	تخيف — عدم القدرة على المشى لنقص فى التآزر
Affect	عاطفة — الاحساس الذى يعقب المعرفة ويدفع الى العمل
Agoraphobia	رهبة المجتمع — الخوف من الفضاء والأمكنة المتسعة
Algo agnia	شبق الألم — نشاط العاطفة الجنسية المصحوب برغبة فى انزال الألم او احتماله . يتضمن السادية والماسوشية
Allo erotism	الشبقية الغيرية — الاحساس بالشبق من اى نوع الموجه نحو الغير (اى فرد من اى الجنسين)
AmbivaLence	وجود احاسيس متعارضة (متناقضة) فى وقت واحد
Amnesia	فقد الذاكرة — ضياع الذاكرة ضياعاً تاماً بالنسبة لفترة او حادثة ما
Anesthesia	التخدير — فقد الاحساس
Anal eroticism	الشبقية الشرجية — الانفعالات الشبقية الناجمة من تنبيه منطقة الشرج
Aphonia	صمتة — عدم القدرة على الكلام
Astasia	فقد القدرة على الوقوف بسبب عدم تآزر الحركات
Auto—erotism	الشبقية الذاتية — الاحساسات الشبقية من اى نوع التى تنشأ فى الفرد نفسه وتتجه اليه
Bi—sexual	التناسلية الثنائية — «١» كائن يحتوى على مميزات الجنسين ، جسدية او عقلية . «٢» كائن عنده احساسات شبقية بالنسبة لافراد الجنسين
Catharsis	تفريغ — تطهير عقلى يحدث بوساطة استحضار التجارب او الآراء غير السارة الى السطح

Censor	المراقب — القوة الضاغطة فى العقل التى تعمل على منع الامور غير السارة من الظهور فى الوعى
Cloacal Erotism	الشبقيه المخرجية — الاحساسات الشبقية التى تنتج من تنبيه احدى المناطق المنطوية فى المخرج اصلا وهى الشرج والمهبل ومجرى البول
Cloaca Theory	الاعتقاد الطفلى الخاص بالولادة عن طريق المستقيم
Claustrophobia	الخوف من الاقامة فى الاماكن المقفلة او المحدودة
Coitus interruptus	العزل او الجماع المقطوع — الانزال فى الخارج
Coitus reservatus	الجماع المؤجل — تأخير احد الطرفين للارجاز او عدم حدوثه مطلقاً
Complex	مركب — مجموعة من الاراء تشير الى فكرة مركزية ، وقد ضغطت كل هذه المجموعة او جزء منها مع الانفعالات المصاحبة لها
Condensation	التكثيف — الامتزاج غير الواعى لبعض اراء معينة ينتج منها وحدة مركبة
Constellation	مجموعة من الاراء غير المضغوطة
Conversion	التحويل — اظهار اراء انفعالية مضغوطة (غير سارة) فى صورة مادية (كما يحدث فى الهستريا التحويلية)
Coprophilia	حب البراز
Dislpacement	التحويل — نقل الطاقة النفسية او الاحساس النفسى من فكرة الى اخرى ، ولكن دون تغيير فى قوة الانفعال الاولى كما يحدث فى التصعيد مثلا
Erogenous Zones	المناطق الشبقية — اى منطقة فى الجسم يؤدى تنبيهها الى انفعالات شبقية
Euphoria	الاحساس بالصحة والعافية

Exhibitionism
العرض التناسلى — الارتواء الشبــقى من عرض الاعضاء التناسلية او اى منطقة شبقية اخرى

Fetichism
الارتواء الشبقى من عضو من اعضاء جسم المحبوب او قطعة من ملابسه (المنديل او القفاز الخ)

Hetero—sexuality
الرغبات الشبقية التى تتجه نحــو احد افراد الجنس الاخر (الاحساس الجنسى الطبيعى عند البالغين »

Homo—sexuality
عشق الجنس — الرغبات الشبقية التى تتجه نحو احد افراد الجنس ذاته « حالة طفلية او بدائية قد تستمر الى ما بعد البلوغ »

Idiogamist
رجل قادر مع امرأة خاصة « او نوع محدود من النساء » فقط ، وعنين مع بقية النساء

Incest
عشق الاقارب « النيق بالاقارب » — الفعل الجنسى معه او الرغبات الشبقية الموجهة الى الاقارب القريبين

Introjection
امتصاص الحوادث الخارجية فى الذات فيستجيب الفرد لها كأنها حدثت فى داخل نفسه او كأنها جزء من نفسه

Libidio
الليبد أو الشهوة — الرغبة الشبقية

Masochism
الماسوشية — شذوذ تناسلى يحس المصاب به بلذة شبقية من تحمل القسوة والألم

Masturbation
الاستمناء — اللعب الشبقى الذاتى فى الاعضاء التناسلية بغرض احداث الارجازم

Narcissism
عبادة «عشق» الذات — الارجح أنها تنشأ قبل الولادة . وتبقى غير جنسية لفترة قصيرة ولكنها لا تلبث ان ترتبط بالمركبات الشبقية الذاتية

Nosophobia
الخوف من المرض

الانفعالات الشبقية الناتجة من تنبيه الفم او الشفتين .	Oral Erotism
الانعكاس — يعزو الفرد مركباته الداخليه الى سواه، وبذلك يرى صورة رغباته ونزعاته الخاصة بشخصه منعكسة على الغير أو على الحياة الخارجية	Projection
اختراع اسباب للخواطر او الافعال اذا لم يستطع العقل الواعى معرفة الدفاع الحقيقى	Ratirnalization
الارتداد — التحول النفسى الى حالة بدائية فى الحياه العقلية	Regtession
الضغط — منع الاراء غير السارة من الظهور فى الوعى ، او اوجاعها بالقوة من الجزء الواعى من العقل اذا كان قد سبق لها الظهور	Repression
المقاومة — القوة التى تعمل على ضغط الاراء غير السارة ، وعلى منعها من الظهور فى العقل الواعى « المراقب »	Resistence
السادية — شذوذ تناسلى يحس المصاب به بلذة شبقية من انزال الالم بالغير (ألم جسدى او عقلى)	Sadism
التصعيد (التسامى) — تحويل الطاقة الشبقية من هدف تناسلى الى هدف غير تناسلى، نافع من الناحية الاجتماعية . وهو يختلف من التحويل فى ان الاخير ينقل الطاقة الشبقية من هدف تناسلى الى هدف تناسلى آخر اقل ظهورا بهذه الصورة فى العقل الواعى	Sublimation
النقل — نقل (او تحويل) الطاقة النفسية من فكرة الى اخرى ، أو فى حالة التحليل من الشخص الى المحلل	Transference
جرح — اذى ، نفسى أو جسدى	Trauma
نظار — اشباع الاحساس الشبقى من النظر الى الاعضاء التناسلية او المناطق الشبقية عند الغير	Voyeuv
الشبقية الحيوانية — الارتواء الشبقى من ملامسة الحيوانات او الاتصال بها .	Zoophilia Eroticism

مبادىء التحليل النفسى

(١) العقل غير الواعى

من الضرورى قبل تعريف التحليل النفسى وبحث طرائقه ان نفهم بوضوح تام العقل فى عناصره غير الواعية ، ووظيفة هذه العناصر فى علاقتها بالاراء والرغبات والانفعالات .

وقد قسم فرويد وغيره من علماء النفس العقل الى اقسام متعددة ، غير اننا نرى — تسهيلا للامر — ان نقصر هذا التقسيم على قسمين : العقل الواعى وهو لايحتاج الى شرح طويل هنا لأنه ذلك الجزء من العقل الذى يعرف ويشعر ويفكر فى الحاضر المباشر . والعقل غير الواعى (او العقل الباطن) وهذا يحتاج الى شىء من الشرح ، فانه اولا كل شىء بمثابة المخزن للخواطر والحقائق ، او بعبارة اخرى هو الذاكرة التى تخزن فيها كل مايصادفنا من التجارب . وفى اى لحظة من اللحظات لايكون فى عقلنا الواعى الا ذكريات قليلة جدا ، أى اننا فى تلك اللحظة بالذات لانستطيع ان نمى ذلك القدر الهائل من التجارب التى مرت بنا فى اثناء الحياة . ونحن نعلم أننا لو حولنا انتباهنا الى جهة ما فاننا نستطيع ان نستحضر فى الوعى عددا كبيرا من هذه الذكريات التى تظل اغلب الوقت كامنة دون ان نعيها او نشعر بوجودها . فيمكن ان يقال اذن ان هذه الذكريات لحوادث الماضى تبقى «مخزونة» فى الجزء غير الواعى من العقل .

وهذا ينقلنا الى نقطة اخرى هى انه بينما نستطيع اذا بذلنا جهدا مناسبا استحضار كثير من الذكريات الى الوعى ، وبينما تأتى بعض هذه الذكريات الى العقل اذا صادفتها ارتباطات مصادفة بأحد المنبهات الخارجية ، فان هناك حوادث وتجارب اخرى نسيناها كل النسيان فلا يمكن ان نستحضرها قط كذكريات واعية .

وسنذكر الان بعض امثلة لتوضيح مانقول

فالانسان يستطيع ان يذكر بمجهود قليل جدا مع من تعشى مساء السبت الماضى مثلا لان هذا الحادث كما يقال لايزال « جديدا فى الذاكرة » . ولكنه يحتاج الى مجهود اكبر لكى يذكر آخر رواية شاهدها على المسرح ؛ فمن الجائز ان يكون هذا الحادث قد وقع منذ بضعة اسابيع ومن الجائز ايضا ان يكون ذلك الشخص قد اختلف الى مسارح متعددة فى الشهور الأخيرة . وطريقة العقل الواعى فى تذكر هذا الامر تحدث على النحو الآتى : يحاول الانسان اولا ان يتذكر متى حدث هذا الامر (اى متى ذهب الى المسرح) ، ثم بعد ذلك يحاول ان يتذكر مع من ذهب ، ثم يحاول ان يتذكر اين تناول عشاءه ذلك المساء : اف المنزل ام خارجا ، ثم يحاول ان يتذكر نوع العمل الذى كان يشغله فى ذلك الوقت وكيف استطاع ان يدبر الفراغ للذهاب الى المسرح وهلم جرا او بعبارة اخرى يحاول الانسان ان يجد شيئا يتعلق به : ارتباطا يتصل بالحادث الذى يحاول ان يتذكره . وقد يكون الفكر الاخير هو الذى يعطيه ذلك الارتباط ، او بتعبير اصح سلسلة الارتباطات فتجرى المسألة على هذا النحو « من المحقق انى كنت مشغولا جدا ولكنى اذكر الآن ان احد مرضاى لم يستطع ان يحضر لعيادتى ، فكلمنى بالتليفون . نعم ، ثم كلمت أخى بالتليفون وطلبت منه أن يقابلنى فى النادى وقد تناولنا عشاءنا هناك ، ثم تحدثنا عن سهرة المساء واخيرا استقر رأينا على الذهاب الى المسرح لمشاهدة رواية هملت » .

من هذا نرى ان الذاكرة تتوقف على ايجاد حادثة مرتبطة بالامر الذى نحاول ان نتذكره ، ثم وصل هــذا الارتباط بارتباطات اخرى . وقد تجىء هـذه الخواطر متتابعة بسرعة هائلة بحيث تبدو كأنها البرق امام العقل ، ولكن مهما يكن من هذا فان الدلائل تدل على ان كل الذكريات تتوقف على مثل هذه السلسلة من الارتباطات ، وهـذه الارتباطات ، تستحضر الى العقل الواعى الحقائق التى كانت مختفية فى العقل الباطن .

وسنذكر فيما يلى مثالا للذكريات التى تحتاج الى منبه خارجى لكى يظهرها فى الوعى : اذكر بوضوح اعلانا عن احد الادوية المستعملة لتنظيف الاسنان ، ولكنى لااستطيع ان اصل الى الارتباطات التى تمكننى من ان احدد اين رأيت هـذا الاعلان . وبطريق الصدفة بينما انا سائر فى الطريق ارى نموذجا لسفينة حربية فى واجهة احد المخازن التجارية : فيندفع الى عقلى فجأة انى رأيت الى

جانب الاعلان عن دواء الاسنان اعلانا آخر عن أنواع الويسكى صورت معه سفينة حربية ثم أذكر الى جانب هذا انى كنت أتحدث الى أحد أصدقائى عن ندرة هذا النوع من الويسكى بينما كنا نستقل القطار تحت الارض . فهناك اذن كان المكان الذى رأيت فيه ذلك الاعلان

وهنا نرى أن سلسلة الارتباطات تنقلنا فورا الى موضوعنا بمجرد عثورنا على نقطة البدء . ومن الجائز اننا كنا سنجد مع الوقت نقطة أخرى للبدء فى عقلنا بدلا من الخارج . ولكن الحادثة ذاتها كانت من التفاهة بحيث لم يكن لها ارتباطات نستطيع أن نستند اليها بسهولة . فالمنبه الخارجى امدنا بالارتباط الاول ، ثم تلاحقت الذكريات بعد ذلك الى وعينا سراعاً .

وننتقل الآن الى مثال ثالث ، وهو مثال التجارب التى لا يمكن ان نستحضر الى الوعى بالطرق العادية ، فاذا سئلنا أين تناولنا العشاء ليلة ٢٥ مايو سنة ١٩١١ لما استطعنا أن نذكر . فالذكرى هنا قد ضاعت ، والى الابد . ومع ذلك فاذا كان الانسان يدون يوميات متصلة فمن الجائز أن يكتشف حادثة مختفية يستطيع منها وبمعاونة عدد من الارتباطات الاخرى أن يذكر هذا الامر

والتحليل النفسى يظهر لنا انه بواسطة طريقة خاصة يمكن استحضار ذكريات بعيدة من الطفولة تبدو كأنها نسيت الى الابد اذا استطعنا أن نصل الى السلسلة المناسبة من الارتباطات . كما اننا بالاستهواء نستطيع أن نستحضر بدقة وتفصيل عجيبين ذكريات قديمة لا أثر لها فى العقل الواعى ، لان النسيان المطلق التام للتجارب لا يحدث . بل من الممكن استحضار كل كلمة دارت فى حديث وقع لبعض الناس منذ عشرين سنة بوساطة الاستهواء .

وهذا بدوره ينقلنا الى بحث الاسباب المختلفة التى تجعلنا نفقد (أو ننسى) سلسلة الارتباطات التى تصل بتجاربنا المنسية . وأحد هذه الاسباب ذكرناه قبلا ، وهو تفاهة الحادثة مما يجعل استحضار الارتباطات الخاصة بها أمرا صعبا ، وهناك أسباب أخرى نذكرها فيما يلى

اننا كثيرا ما ننسى أمرا لاننا لا نحب أن نتذكره ، أو لانه يرتبط بأمور لا نحب أن نذكرها . وهذا يحدث بصفة خاصة فى المصادمات العقلية التى نرفض أن نجد لها حلا فى الوعى ، لان أى حل نصل اليه لا يكون سارا لنا . وهذا النوع من النسيان نسميه الضغط ، فان الذكريات غير السارة والارتباطات التى يمكن أن نستحضرها الى العقل الواعى كلها تضغط من الوعى الى العقل الباطن ،

وقد كتب داروين في تاريخ حياته « اتبعت في خلال سنوات طويلة قاعدة ذهبية لم أحد عنها هي انه كلما لاحظت شيئاً جديداً أو خطر لي خاطر يتعارض مع النتائج العامة التي وصلت اليه ، أسارع الى تدوينه في مذكراتي على الفور ، لانني وجدت بالتجربة ان هذه المشاهدات والخواطر اسرع الى النسيان مما كان يتفق مع ارائي »

وفي هـذه الحالات من النسيان بوساطة الضغط يوجد على الدوام نزاع بين الارادة الواعية والارادة غير الواعية ، وسنرى فيما بعد ان الارادة غير الواعية عامل من أهم العوامل في تقرير الضغط . فان الارادة الواعية تحاول أن تتذكر أمرا ما فتعترضها الارادة غير الواعية اعتراضا شديدا قائلة « ان هذا امر غير سار فيجب الا يبقى في الذاكرة » وفيما يلي مثال جميل ذكره ميدبر : « كان أحد أطباء الامتياز على موعد لعمل هام في المدينة ، ولكن لم يسمح له بالخروج من المستشفى حتى يعود رئيسه من حفلة عشاء كان مدعوا اليها . ولما كان الوعد هاما فقد قرر أن يذهب مضحيا بغضب رئيسه ، فلما عاد وجد لدهشته انه ترك نور غرفته مضيئاً ، وهو أمر لم يحدث له من قبل قط على الرغم من انه شغل هذه الغرفة سنتين . وعندما فكر في الامر ادرك لم حدث منه ذلك ، فان رئيسه عند عودته سيمر بالغرفة ويرى نورها مضيئا فيظن انه موجود . فهنا قرر العقل الباطن أن ينسى مسألة ايقاد النور (أى انه ضغطها) .

ونحن نصادف في حياتنا اليومية أمثلة لاتعد من هذا القبيل ، فنحن كثيرا ما ننسى اين وضعنا كمبيالة مطلوبة منا ولكننا لا ننسى أين وضعنا شيكا لنا ، ونحن قد ننسى أن نلقى خطابا كلفنا القائه ضد رغبتنا ولكننا لا ننسى القاء رسالة غرامية وهكذا .

وسأذكر فيما يلي مثالا من تجاربي لايضاح نوع عادى مألوف من هـذا الضغـط : كان على أن أحضر محاضرة عن الملاج النفسي يلقيها رجل أخالفه في الرأى كل المخالفة ، ولم أكن أود ان احضره ولكني كنت مضطرا الى ذلك رسميا . فالذي وقع هو انني اولا كتبت موعد المحاضرة في مفكرتي متأخرا اسبوعا ، ولما اكتشفت هذا الخطأ ترددت في اصلاحه لحظة ثم عندما اصلحته كتبت يوم الثلاثاء بدلا من الخميس (يلاحظ ان اليومين متقاربان بالانجليزية) . ثم لما سألني بعض أصدقائي عن موعد المحاضرة اجبت انه الثلاثاء بدلا من الخميس (اى انني بدون وعي مني حاولت ان أفوت

عليهم المحاضرة) ، واخيرا حددت موعدا لمريض فى الموعد الحقيقى المحدد لالقاء المحاضرة . هـذا مع ملاحظة انى حضرت بانتظام كل المحاضرات التى القيت فى ذلك المعهد وكنت انطلع اليها قبل موعد القائها فيما عدا هذه المحاضرة التى كنت اكرهها ومع ذلك قررت ان احضرها ، هنا حاولت ارادتى غير الواعية اكثر من مرة ان تعوقنى عن الحضور .

وقد تناولت الامثلة التى ذكرناها حتى الآن الضغط فى امور صغيرة وقليلة الاهمية ، ولـكن القاعدة نفسها يمكن تطبيقها فى كثير من الحالات الهامة بل والبارزة فى الحياة . فبعض المصابين « بصدمة القنابل » او بغيرها من امراض الحرب العصبية تضيع من ذاكراتهم فترات طويلة قد تصل الى بضعة اسابيع او شهور من خدمتهم ، او قد ينسون كل النسيان حادثة مروعة مما كان ينتظر ان تبقى عالقة فى عقولهم الى الابد . بل ليس مستحيلا ان نلقى بعض المرضى ممن نسوا ماضيهم كله نسيانا تاماً .

واحد هؤلاء — وهو من مرضاى — نسى بالكلية كيف مات اعز صديقين عليه ، على الرغم من انه كان واقفا بالقرب منهما ساعة موتهما وشاهد القنبلة التى قتلتهما وهى تنفجر ، وقد اطارت رأس احدهما وبقرت بطن الثانى . فهذه الحادثة المروعة ضغطت ضغطاً تاماً من الذاكرة الواعية ، وكذا ايضا كل الارتباطات المتصلة بها التى كان يمكن ان تؤدى الى التذكر ، او بعبارة اخرى انفصل جزء صغير كامل من حياته عن الوعى ، ونسى ، وقد امكن اعادة هذه الذكريات اليه تدريجيا بواسطة طريقة التداعى الحر التى تمارس فى التحليل النفسى . وساحاول الان ان اذكر مثالا يوضح كيف يحدث هذا « الانفصال من الوعى » :

اذا كتبت الان قائمة مكونة من ثمانى كلمات لا اتصال بينها مطلقا فسيرى القارىء العادى انه من الصعب عليه جدا ان يتذكرها بترتيبها بعد قراءتها مرة واحدة او اعادتها من الاخر الى الاول

ابريق

جرس

مكتب

آلة

زهرية

ارقة

مائدة

محرك للنار

وذلك لانه لا يوجد « ارتباط » بين الكلمات بعضها بعضاً ، فلا تساعد احداها على استحضار الكلمة التي تليها الى الوعي

ولكن اذا كتبنا قائمة اخرى ترتبط كل كلة فيها بالكلمة التي تليها ارتباطا واضحا محددا في ناحية ما فسيكون من السهل على القارىء ان يتذكرها بعد قراءتها مرة واحدة ، او بعيدها من الآخر الى الاولى



حبر

اسود

حزن

موت

شبح

هاملت

شكسبير

باكون

ففي هذه القائمة يوجد ارتباط ظاهر بين كل كلة واخرى ، وبينما نحن ننطق باحداها تأتي الكلمة التي تليها دون مجهود كبير من اللاوعي . فاذا فرضنا الآن ان ذكر « الموت » و « الشبح » لا يسر واننا نود ان نضغط هذه الفكرة فاننا نستطيع ذلك بتزييف الارتباط — دون وعي — عندكلة حزن Mourning بان نهمل حرفا من الكلمة فتصير Morning اي صباح . وهذا ميسور بطرق متعددة

١ — اما باللعب بالكلمات وذلك بان نحشو كلمة صباح Morning فتصبح كلمات القائمة :